السبت 10 تموز 2021
العدد 4387 السنة الخامسة عشرة
Samedi 10 juillet 2021 nº 4387 15ème année

24 صفحة
2000 ليرة

# الأخبار
al-akhbar

www.al-akhbar.com

## كلمات

إدمون عمران المالح
**عاشق فلسطين يموت مرّتين**

## لا كهرباء... لا ماء... لا دواء... والدولار إلى 20 ألف ليرة

# لبنان نحو الانفجار الشامل [4]

## غزة تحاصر حصارها وتُحبّ الحياة غداً

[10 ـ 12]

لم يفلد الحصار المفروض على غزة، منذ 15 عاماً، في سلذ المقاومة عن اهلها، على رغم تحويك إسرائيك القطاع الى سجن كبير يضيق باهله الذين يعدّون مليونَي نسمة (أ ف ب)

### تقرير

الجولة الأولى بين المحقّق العدلي ومجلس النواب:
**المزيد من «المغمغة»**

6

### اليمن

فرحة الرياض وواشنطن لا تدوم:
**«زاهر البيضاء» بأيدي قوات صنعاء**

13

### تقرير

إيران لا تريد مواجهة «طالبان»:
**الأسلم اتفاق أفغانيّ ـ أفغانيّ**

14

قضية اليوم

# العتمة الشاملة حلّت... ولا مخرج إلا بالنفط العراقي

العتّمة الشاملة حلّت. كل لبنان شهد بأمّ العين ماذا يعني أن تنقطع الكهرباء ليوم كامل. الأسباب هي نفسها. لا فيول للمعامل، بعد تأخير فتح الاعتمادات. الانخفاض القياسي في الإنتاج أدّى تلقائياً إلى فصل كل المعامل عن الشبكة. لكن اليوم يفترض أن تعود الأمور إلى «طبيعتها» بعد البدء بتفريغ الشحنة المتوقفة أمام معمل الزهراني. «طبيعتها» تعني أن لا تزيد التغذية على 5 ساعات يومياً. وهذا الروتين القاتل لن ينهيه سوى الإسراع في توقيع عقد شراء النفط مع العراق. آخر المعطيات يؤكد أن الاتفاق شبه مكتمل. فقد تقرر أن يُدفع ثمن الفيول في حساب يفتح في مصرف لبنان، على أن يستعمله العراقيون لشراء السلع والخدمات من لبنان. أما التكرير، فلا حاجة إليه. كل ما سيتغير هو إضافة بند إلى المناقصات التي تجرى حالياً يسمح بدلاً من دفع ثمن الشحنات نقداً بأن يستبدل بالنفط العراقي

## عودة تدريجيّة لإنتاج الكهرباء بدءاً من اليوم

**إيلي الفرزلي**

العتّمة التي لطالما كانت هاجساً مؤرقاً لكل المقيمين في لبنان، تحوّلت إلى واقع مرير. «Black Out» شامل عاشه لبنان أمس، بدءاً من السادسة صباحاً، واستمر حتى صباح اليوم. ما حصل عيّنة ممّا يمكن أن تُسبّبه العتمة. ليست المشكلة في الإنارة أو تشغيل المكيفات أو حتى تشغيل البرّادات أو تراكم الغسيل في المنازل. العتمة تعني توقّف توزيع المياه، وتعني توقّف مصافي تكرير مياه الصرف الصحي (على قلّتها)، وتعني تعطيل المرافق الحيوية، وتعني احتمال إطفاء الآلات الأوكسيجين في المستشفيات وإطفاء غرف العمليات، لعدم قدرة أي مولّد خاص، إذا توفر المازوت، على التشغيل 24 ساعة يومياً...

كل ذلك حصل، من دون أن يُحرّك أي مسؤول ساكناً. فصْل هؤلاء دفن رؤوسهم في الرمال، ومن ظهر منهم سعى إلى استغلال الأزمة في البازار السياسي، نازعاً عن نفسه المسؤولية، حتى وصل الأمر إلى أعضاء في مجلس إدارة كهرباء لبنان أعلنوا، وهم في موقع القرار، عدم مسؤوليتهم عن كل ما يحصل.

المطلوب، على ما يبدو، ليس إيجاد الحلول، بل أن يعتاد الناس العتمة كما تعوّدوا شحّ البنزين. فما جعل العتمة الشاملة واقعاً سيتكرر. شحّ الدولار وتقنين مصرف لبنان لفتح اعتمادات الفيول ورفضه تمويل حاجة القطاع إلى قطع الغيار والصيانة، ستجعل المعامل مهدّدة بالتوقّف كل يوم. لا جديد في الإشارة إلى أن الأزمة اليوم مرتبطة بتأخّر مصرف لبنان بفتح اعتمادات شحنة «ديزل أويل»، ثم تأخّر المصرف المراسل في تأكيد هذه الاعتمادات (تلك خطوة صارت ضرورية للمورّدين العالميين ليوافقوا على التعامل مع لبنان).

> ماذا تفعل السلطة غير انتظار اعتمادات مصرف لبنان؟

«البشرى السارة» أن الشحنة التي وصل نصفها، في 28 حزيران، إلى الزهراني (30 ألف طن)، ووصل نصفها الآخر إلى دير عمار في الثاني من تموز الحالي، أفرج عن جزء منها مساء أمس، بعدما تمت الموافقة على تفريغ حمولة شحنة دير عمار، على أن تتبعها اليوم الموافقة على تفريغ شحنة الزهراني. لكن ذلك لن يشكّل فارقاً. إعادة المعامل إلى العمل، ستجعل التغذية ترتفع إلى ما معدله 5 ساعات يومياً. أمس، بعدما أطفئ معملا الزهراني ودير عمار، بقيت البواخر التركية تنتج نحو 330 ميغاواط، يضاف إليها نحو 200 ميغاواط من معامل أخرى (صور، المعامل المائية، الجية القديم، وماكينة واحدة في كل من الزوق والجية الجديدين...)، لكن بهذا الإنتاج المتدنّي، كان يستحيل الحفاظ على استقرار الشبكة بعدما انخفض التردد إلى 48 هيرتز، فيما يفترض أن لا ينخفض عن 50 هيرتز. ولذلك، أطفئت البواخر تلقائياً وتبعتها المعامل الأخرى.

الخبر نفسه سيتكرر مع كل شحنة. فُتح اعتماد، لم يُفتح. أفرغت الشحنة، لم تُفرغ. مصطلحات دخلت إلى القاموس اللبناني في زمن الانهيار، والمرجح أن لا تُسحب منه قريباً. فطالما هنالك شح بالدولارات، وطالما أن السلطة مستقيلة من واجباتها وارتضت الذل للناس، فلا حلول في الأفق، إلا متى تقرر الخروج من نفق المعالجات الروتينية. فما حصل في الاتفاق مع العراق، يمكن أن يحصل مع دول أخرى. لم يعرف بعد ماذا تنتظر السلطة للجوء إلى أصدقاء لبنان طلباً للفيول أو حتى الغاز، إما على شكل هبات أو عبر الاتفاق على طريقة دفع مرنة. وعلى سبيل المثال، هل تواصل أي من المسؤولين مع مصر لبحث سبل استئناف توريد الغاز عبر خط الغاز المصري؟ ثم، ما الذي حصل بمناقصة التفويز، التي ارتكبت الحكومة السابقة جريمة عدم البت بنتيجتها، نظراً إلى الفارق الهائل بين كلفة تشغيل المعامل على الغاز وعلى الفيول؟ وهل حاولت الحكومة الحالية التواصل مع المشاركين في المناقصة، لتبيان مدى استعدادهم لاستئناف عروضهم؟ لا أحد مستعد للمحاولة، وكل شيء معطّل. وإذا بقي الوضع الراهن، ولا سيما عدم توفر الأموال لإجراء الصيانات اللازمة للمعامل، فلن يتاخر الوقت قبل أن تتحول إلى خردة، فيما هي قادرة على إنتاج نحو ألفي ميغاواط متى توفرت الأموال، وقبل الأموال، متى توفرت إرادة الحل.

(هيثم الموسوي)

## مسوّدة العَقد مع العراق جاهزة: النفط مقابل السلع والخدمات

**إيلي الفرزلي**

لا أحد يطلب اليوم زيادة الاستثمار في إنتاج الكهرباء، ولا الوصول إلى 24 ساعة من التغذية حالياً. بات كل المطلوب هو المحافظة على استقرار الحد الأدنى في إنتاج الكهرباء، بحسب القدرة الإنتاجية لكهرباء لبنان. وحالياً، وحده الفيول العراقي يُفترض أن يحقق بعضاً من هذا الاستقرار، فهو يغطي ثلث حاجة المعامل، في حال التغذية الكاملة، بما يعني إمكانية إبعاد شبح العتّمة الشاملة، لسنة على الأقل.

لكن في ظل خشية من أن يكون الصمت الرسمي مؤشراً لإقفال الملف، تؤكد مصادر مسؤولة أن توقيع العقد لن يكون بعيداً، مشيرة إلى أن مسودته صارت جاهزة. وتم تشكيل لجنة تضم ممثلاً عن وزارة الطاقة وممثلاً عن مصرف لبنان لوضع اللمسات الأخيرة عليه، تمهيداً لتوقيعه من قبل وزارة الطاقة. وبحسب المصادر، بعدما أقرّت الحكومة العراقية رفع الكمية من 500 ألف طن إلى مليون طن من النفط، انتقل الملف إلى المرحلة الإجرائية، والنقطة المركزية فيها هي الاتفاق على آلية الدفع. وهذه مسألة جرى التفاوض بشأنها بين المصرفين المركزيين العراقي واللبناني، بإشراف مباشر من رئاستَي الحكومة في البلدين.

وبالنتيجة، تقرر أن يفتح البنك المركزي العراقي حساباً مصرفياً بالدولار لدى مصرف لبنان، على أن يتم توريد الفيول إلى لبنان بعد فتح اعتماد مستندي من قبل المصرف المركزي، باسم إحدى الجهات الحكومية اللبنانية أو باسم مؤسسة كهرباء لبنان، لمصلحة المصرف المركزي العراقي (نيابة عن شركة تسويق النفط العراقية SOMO). هنا كانت الإشكالية بالنسبة إلى مصرف لبنان تتعلق بضمان عدم سحب الاعتمادات التي يفتحها من قبل الجانب العراقي. ولأن الحكومة العراقية كانت حاسمة في مسألة إعطاء لبنان فترة سماح تمتدّ لسنة في ما يتعلق بكل شحنة، تم الاتفاق على تضمين العقد ما يأتي:

> لا تكرير للنفط بدل استبدال عبر عقود «سيوت كارغو»

ـ يُفتح مصرف لبنان اعتماداً غير معزّز (غير موافق عليه من المصارف المراسلة) كونه سيبقى في لبنان.

ـ تحدد قيمة العقد وفق السعر الذي تعتمده شركة تسويق النفط العراقية في شهر تحميل الشحنة (تطلق الشركة مناقصة كل شهر يتحدد السعر على أساسها لكل الشهر).

ـ تؤجل الدفعات لمدة سنة بعد تاريخ قبول مستندات الشحن، على أن يتم التسديد حصراً وفق آلية يتفق عليها مع الجانب اللبناني لغرض شراء السلع والخدمات من لبنان لمصلحة الوزارات والمؤسسات العراقية، ويتم إشعار مصرف لبنان بأوامر الدفع بناءً على اتفاقيات تُعقد بهذا الشأن وتعتبر جزءاً من الاتفاق.

النقطة الأخيرة، كان لها الدور الحاسم في دفع الاتفاق قدماً، حتى إن مصرف لبنان، بعدما اطمأن إلى أن الدفع سيتم عبر شراء سلع وخدمات، أي أن الدولارات لن تخرج من لبنان، رحّب بإمكانية عدم تأجيل الدفع لمدة سنة.

ونظراً إلى الواقع اللبناني المستجد، تمّ التوافق على تضمين العقد بنداً يشير إلى أنه في حال حصول عملية «هيركات» بموجب قوانين أو تشريعات لاحقة، فإن هذا الأمر لا يؤثر على رصيد البنك المركزي العراقي لدى مصرف لبنان. كذلك اتفق على إعفاء حساب المصرف العراقي من أي ضرائب، واتفق أيضاً على أن يلتزم الطرفان بأن لا يكون أي طرف مشارك في عملية البيع والشراء مدرجاً على لوائح العقوبات الدولية أو يمكن أن يدرج لاحقاً، وبخلاف ذلك يعتبر العقد ملغى ويحق للعراق الانسحاب من بنوده.

عملياً، إذا أنجز الاتفاق المالي على الشكل السابق، تبقى مسألة تكرير الفيول العراقي، الذي لا يتناسب مع المواصفات اللبنانية، عالقة. فنسبة الكبريت في الفيول العراقي تصل إلى 3 في المئة، في حين أن لبنان يمنع استعمال الفيول الذي تتجاوز نسبة الكبريت فيه نسبة الواحد في المئة. ولذلك، فإن النفط الأسود العراقي سيستبدل بأي نوع فيول يحتاج إليه لبنان، عن طريق آلية شراء النفط المعتمدة حالياً. وبحسب المعلومات، لن يتم التعاقد مع شركة واحدة لتكرير النفط أو استبداله، بل سيتم التعامل مع كل شحنة على حدة، وفق الآلية المعتمدة حالياً، أي إجراء مناقصة خاصة بكل شحنة (سيوت كارغو) لشراء الفيول أو البنزين أو المازوت... (لا يحدد العقد نوع الفيول، بل يشير إلى بيع زيت الوقود الثقيل HFO إلى لبنان، إما لهدف الاستخدام لتشغيل معامل الكهرباء، أو لتكريرها للحصول على المنتجات الثانوية النفطية أو لاستبدالها مع طرف ثالث بهدف تغيير المواصفات بما يتناسب مع الاستخدامات في لبنان).

الفارق الوحيد أن العقود الجديدة ستتضمن بنداً يسمح بالدفع عن طريق الاستبدال، فبدلاً من الإشارة إلى فتح اعتماد مستندي للشركة الفائزة بالمناقصة، يشار إلى استبدال الشحنات، على أن يُدفع الفارق، إما نقداً أو من خلال تخفيض حمولة الشحنة. وعلى سبيل المثال، إذا أطلقت وزارة الطاقة مناقصة لشراء 50 ألف طن فيول، وتبين أن السعر الفائز هو سعر «بلاتز» (السعر العالمي للفيول) زائد «بريميوم» 70 دولاراً على سبيل المثال، وكان السعر الذي رست عليه المناقصة الشهرية لشركة «سومو» قد حدد سعر النفط العراقي «بلاتز» زائد 50 دولاراً، فيتحتّم على لبنان إما دفع 20 دولاراً عن كل طن، وإما استبدال الخمسين ألف طن فيول بكمية أكبر من النفط العراقي.



ابراهيم الأمين

## قاطِعوا واطردوا سفراء الوصاية

في لبنان، كما في بقية العالم، تكون المعادلة قاسية جداً عندما تجد عصابات ومتخلّفين ونصّابين وعملاء يتولّون شؤون الدولة بعدما حصلوا طوعاً أو غصباً، على تفويض الناس في الانتخابات، وصاروا يتولّون مقاليد السلطة. وإذا كانت الاعتبارات الداخلية للدول حاسمة، لكنها ليست العنصر الوحيد المحدّد لطريقة إدارة البلاد. ما يميّزنا سلباً عن بقية دول العالم، أننا نقيم وزناً زائداً للخارج يجعل القيّمين على أمور بلادنا يتصرفون بدونية مفرطة أمام الآتين من خلف البحار. وهي دونية تظهر للأسف ليس عند أرباب الإقطاع الاجتماعي أو السياسي أو المالي، بل حتى عند فئات غير قليلة من الأحزاب والنقابات والأطر الأهلية.

ما حصل في لقاء رئيس الحكومة حسان دياب مع السفراء المعتمدين قبل أيام كان نافراً جداً. المشكلة ليست في الوقاحة التي ميّزت تصرف سفيرتَي أميركا وفرنسا. بل ما سبق ذلك

> في حالة البلهاء شيا، والعنصرية غريو، ليس من علاج سوى الدعوة إلى التعامل معهما مثل أيّ مندوب لقوة احتلال وجب طرده

من سلوك سفير مملكة الصمت والقهر وليد البخاري الذي تصرف مع الحدث وكأنه لا يعنيه، ولا يحتاج منه إلى حضور أو اعتذار، وهو وإن تذرّع بالسفر، إلا أنه لم يكن ليحضر إلا حيث يجد من يقدم له الطاعة كما فعل حضور لقاء بكركي المُخجل.

لكنّ مشكلة اللقاء نفسه تعود أصلاً إلى تصرف رئيس الحكومة وفريقه، وإلى خطابه وطريقة تفاعله في النقاشات مع الحضور. يقول أحد الحاضرين إن السفير الكويتي ربما حاول احتواء الموقف بأن ردّ بدبلوماسية على كلام رئيس الحكومة، لكن من دون فوقية ممثل الرجل الأبيض، عندما قال لدياب: «لا أعتقد أنك تقصد ما تقوله!». ذلك أن الجميع كان مذهولاً في أن رئيس الحكومة دعاهم ليشرح لهم أحوال البلاد، فما كان منه إلا أن عمد إلى توبيخهم من دون الإشارة إلى دور الطبقة الحاكمة سابقاً وحاضراً في الأزمة الكبيرة التي يعاني منها لبنان.

عملياً، كان السفير الكويتي يوافق ضمناً على أي اعتراض يصدر عن أي سفير حاضر على اتهام رئيس الحكومة للعالم بفرض حصار تسبّب بالأزمة التي يواجهها لبنان، ويتناسى أو يتجاهل الأسباب الداخلية للأزمة. وهو ما كان فعلاً أمراً لافتاً في خطاب رئيس الحكومة الذي يبدو أنه يعيش مرحلة «الخوف» من اعتقاله أو سجنه أو نفيه من قبل أي حكم جديد يحضر إلى مقاعد السلطة. ولهذا تراه يحمّل كل القوى السياسية القادرة مسؤولية الخراب، لكنه لا ينتقدها علناً، بل يتجنّب مواجهتها بحجة أنه غير قادر، وأن ما بيده فعَلَه وهو الاستقالة. علماً أن دياب يعرف تمام المعرفة أن بمقدوره القيام بالكثير إن أراد حتى كرئيس حكومة تصريف الأعمال، ولكنّ الرجل رسب في امتحان السلطة، حتى بات المدافعون عن وصوله إلى موقعه يشعرون بالإرباك عندما يتعرض لانتقادات قاسية أمامهم.

لكنْ هل كل ذلك يسمح لممثلي الرجل الأبيض وأتباعهم من بعض عرب الخليج، ممارسة هذه الوقاحة في طريقة التعامل، من امتناع السفير السعودي عن الحضور، بينما كان يتفنّن في تعليم جماعة السيادة والحرية والاستقلال جلسة القرفصاء في خيمته؟ ثم كيف لهذا السفير أن يحترم دولة، وهو يرى الكنيسة المارونية تعود إلى دروس القرون الوسطى في خدمة البلاط مهما كانت هوية شاغله؟ وكيف يشعر بالقلق، وهو يرى من أذلّتهم بلاده، مثل جماعة سعد الحريري لا يتوقفون عن البكاء وطلب الغفران عند باب السفارة؟

لكن لندع البخاري جانباً، ولنذهب إلى أصل المشكلة. إلى أولئك الغربيين المتحدّثين بالأصول واللياقات ورجال الدولة والقواعد والتراتبية واحترام السيادة، لنتوجه إلى سفيرتَي فرنسا وأميركا، اللتين تتصرفان بفوقية مُذهلة، توجب تقريعهما كلّما دعت الحاجة، وتوجب تذكيرهما بأنهما تمثلان أعلى درجات العنصرية في السلوك العام، وتوجب دعوة الناس العاديين إلى اعتبارهما غير مرغوب في وجودهما بيننا، وإلى ضرورة مقاطعة كل نشاط تقومان به، وإلى التظاهر والاحتجاج العنيف ضدّ كل نشاط تشاركان فيه، وإلى قطع الطريق أمام مواكبهما لا أمام الناس المعتّرين على الطرقات، وإلى مطاردتهما في أيّ مكان عام، وزارة أو إدارة أو نادياً أو مطعماً أو مرفقاً عاماً أو خاصاً أو نشاطاً سياسياً أو ثقافياً، وإلى تقريع كل مَن يتعامل معهما من دون تمييز، سواء كان جهاتٍ رسمية تقبل بهذه الإهانات، أو أحزاباً أو قوى أو جمعيات أو ناشطين أو شخصيات. لأن كل هؤلاء، يتجاهلون حقيقة أنه لولا دعم وتغطية عواصم القهر والإرهاب في العالم، وفي المقدمة منها أميركا وبريطانيا وفرنسا، لما كان لهذه العصابة أن تعيش كلّ هذا الزمن، ولما كان لهذا الإقطاع بوجوه قديمة أو جديدة أن ينتعش أو يتزوّد بطاقة الوجود، ولما كان لهذه العصابة المتحكّمة بالمال العام والخاص أن تبقى على قيد الحياة من دون أوكسيجين الغرب القذر.

في حالة البلهاء دوروثي شيا، أو العنصرية آن غريو، ليس من علاج سوى الدعوة إلى نبذهما كلَّ ساعة وكلَّ دقيقة، وليس من عيب في إبلاغهما بأن عليهما توقّع المتاعب والملاحقة بقصد طردهما متى تيسّر ذلك، والتعامل معهما مثل أيّ مندوب لقوة احتلال وجب طرده... ولو بالقوة!

المشهد السياسي

## لا كهرباء... لا ماء... لا دواء... والدولار إلى 20 ألف ليرة

# لبنان نحو الانفجار الشامل

**سعر الصرف وصل إلى 20 ألف ليرة لكلّ دولار. الكهرباء انقطعت مهدّدة بانقطاع شبه تام للمياه وتعطيل الخدمات الصحية... الدواء مفقود من الصيدليات التي اقفل جزء منها ابوابه «إضراباً»... المحروقات غير سهلة المنال... وكذلك السلع الاساسية، التي إنْ وُجدت فاسعارها خيالية. في المقابل، حسمت الطبقة المهيمنة، بسياسيّيها وماليّيها، موقفها بعدم اتخاذ أي قرار لتخفيف سرعة الانهيار، أو تأخير الارتطام الكبير، او في احسن الأحوال القيام بخطوات من شأنها حماية السكان من تبعات الانهيار. على العكس من ذلك، تخوض تلك الطبقة معركة إعادة إحياء النموذج الذي انهار، رافضة القيام بعملية توزيع للخسائر، مصرّة على تحميل هذه الخسائر للفقراء ومتوسطي الدخل، وحماية ثروات القلّة من أصحاب المصارف والمحتكرين وتعزيز قدرتهم على تحقيق الارباح. البلاد تبدو على حافّة انفجار كبير، ليس بالضرورة أن يكون على شكل ثورة أو انتفاضة، بل ربما يكون على صورة فوضى شاملة!**

(هيثم الموسوي)

ليس أمراً عابراً أن تُعلن اللجنة التنفيذيّة للقاح كورونا إلغاء ماراتوني «استرازينيكا» و«فايزر» اللذين كان يُفترض إقامتهما اليوم بسبب انقطاع الكهرباء والإنترنت عن معظم المراكز. لبنان دخل العتمة الشاملة. أزمة البنزين، رغم كلّ «التطمينات»، لم يُلمس حلّها بعد ولم تُخفَّف من الطوابير. سعر الدولار لامس أمس الـ 20 ألف ليرة، وسيستمر الانهيار في الليرة من دون سقف طالما أنّه لم يُقرّر حلّ جذري. قيمة الرواتب تنهار، وكذلك القدرات المعيشية لمعظم السكّان. سلع رئيسية تُفقَد من الأسواق، وإن وجدت فبأسعار لا قدرة لأكثرية السكان على تحمّلها. أما الأخطر، فهو انقطاع أدوية أساسية من الصيدليات بفضل الممارسات الاحتكارية لشركات استيراد الأدوية، التي باتت تُطالب علناً بتحرير الأسعار حتى تُعيد ضخّ الأدوية في الصيدليات. إنّه الانحدار نحو مستويات أخطر وأعمق من الأزمة، وقد قرّر السياسيون من كتل نيابية ووزارية ورؤساء ومسؤولين حجز مقاعد لأنفسهم لـ«التفرّج» على قرار قتل السكان من دون القيام بأي شيء. يُدركون وجود أزمة، واستقالتهم من القيام بواجباتهم هي بحدّ ذاتها موقف، يُعلنون عبره الحرب على الفقراء ومتوسطي الدخل، خدمةً لمصلحة القلّة القليلة من أصحاب الثروات، وعلى رأسهم أصحاب المصارف والمحتكرين. فالأسوأ من وخياراته السياسية. تحت عنوان العجز عن تأليف حكومة، سُلّمت المفاتيح إلى الدول الثلاث الطامحة أصلاً إلى إعادة فرض وصاية مباشرة على لبنان، وإعادة بناء المنظومة من جديد بما يتناسب مع مصالحها الاستراتيجية والدولية. ولم يكونوا ليجدوا أفضل من قوى لبنانية لا تعرف أن تحكم من دون «رعاية خارجية». المشهد ليس سوريالياً، بل وقحاً. سفيرتا الولايات المتحدة وفرنسا تعقدان في الرياض اجتماعات لحلّ أزمة الحكم اللبنانية، وتُصدران بياناً مشتركاً جاء فيه تأكيد أن غريو (فرنسا) ودوروثي شيا (الولايات المتحدة) «الحاجة الماسة إلى حكومة تتمتع بصلاحيات كاملة تكون ملتزمة وقادرة على تنفيذ الإصلاحات... إجراءات ملموسة يتّخذها قادة لبنان لمعالجة عقود من سوء الإدارة والفساد ستكون حاسمة لإطلاق دعم إضافي من فرنسا والولايات المتحدة والشركاء الإقليميين والدوليين». ومنّذت السفيرتان لبنان باستمرار «تقديم المساعدة الطارئة إلى الشعب اللبناني، بما في ذلك الدعم الصحي والتعليمي والغذائي». إلا أنّ اللبنان لم يكشف ما إذا كانت السعودية قد وافقت على تأليف الحكومة، برئاسة سعد الحريري أو غيره، وهذه نقطة محورية بما أنّ لقاء السفراء في تُعرقل الحكومة.

### سلامة والتعميم 158

على صعيد آخر، غير مفصول تماماً، يأتي التعميم 158 الصادر عن مصرف لبنان بطريقة لا يشذّ عن هذه القاعدة. سُوّق كـ«خدمة» للمودعين الذين يملكون حسابات بالدولار الأميركي، على أساس أنّه يُعيد إليهم جزءاً من دولاراتهم. إلا أنّه عملياً يحصر الاعتراف بالدولارات الموجودة لدى المصارف بالكمية البسيطة التي سيُفرج» عنها، من دون أن يعوّض الانهيار في قيمة الودائع بعدما انهارت الليرة، أو بضبط سعر الصرف في السوق، أو يُخفّف من التضخم والتداعيات على كلّ المجتمع.

يوم أمس، أصدر مصرف لبنان توضيحاً بشأن التعميم 158، الذي يُتيح لأصحاب الودائع بالدولار تحويل 50 ألف دولار كحدّ أقصى من حساباتهم إلى حساب جديد، والسحب منه 400 دولار نقدي شهرياً، و400 دولار أخرى تُسحب وفق سعر منصّة «صيرفة» المُحدّد بـ 12 ألف ليرة. توضيح «المركزي» بدا ضرورياً بعدما فتح كلّ مصرف على هواه، وبدأ يُطبّق الإجراءات التي يجدها مناسبة، وإجبار المودعين على التوقيع على مستندات غير مطلوبة. فحتى المودعون الذين لا يُريدون سحب أموالهم بحسب التعميم، فرضت عليهم مصارف التوقيع على الرفض.

تقول مصادر مصرفية إنّ جميع البنوك «ستلتزم بتطبيق الـ 158، لكنّها لا تزال حالياً تجمع البيانات حول المودعين الذين يحقّ لهم الاستفادة من التعميم». التأخير حصل بشكل أساسي «بسبب غياب الإجراءات الواضحة، وعدم انتهاء لجنة الرقابة على المصارف بعد من وضع النصوص التطبيقية، فلا تزال العديد من النقاط غامضة ولا تعرف المصارف كيف ستتعامل معها». وبحسب المعطيات، لم تنته بعد لجنة الرقابة على المصارف من وضع الإجراءات التطبيقية، «يوجد العديد من الثغرات في التعميم التي يجب أن تُعالج». من الأمور التي ستؤخذ بعين الاعتبار، «وتُجبر المصارف على التراجع عنها، هي إجبار المودعين غير الراغبين في الاستفادة من التعميم على التوقيع على تنازل، فهذا التصرّف قانونياً غير مقبول».

وكان مصرف لبنان في بيانه قد أعاد التذكير بالأشخاص الذين يحقّ لهم الاستفادة من التعميم، والمُستثنين منه، وتفاصيل متعلقة بالحسابات المشتركة. وبالنسبة إلى كيفية احتساب الرصيد، يتم اعتماد الرصيد الأدنى وفق ما يأتي:

1) مجموع أرصدة الحسابات كما في 2019/10/31:
- لا يُحتسب من ضمنها المبالغ المجمّدة كضمانة نقدية ولقاء تسليفات وتسهيلات مصرفية، بما في ذلك المطلوبات المحتملة الدفع
1) الحسابات المفتوحة قبل 2019/10/31 ومثل ما كانت بتاريخ 2021/3/31، لا يُحتسب من ضمنها:
- المبالغ المجمّدة كضمانة نقدية لقاء تسليفات وتسهيلات مصرفية، بما في ذلك المطلوبات المحتملة الدفع
- كامل رصيد الحسابات الجديدة
- المبالغ المحوّلة من الليرة اللبنانية الى العملات الأجنبية بعد تاريخ 2019/10/31.

ويتمّ تنزيل من مجموع الأرصدة، القيمة التي سدّدها المودع بالليرة لقاء قرض، وتلك المتوقع تسديدها بالليرة.

يوقّع المودع على فتح «الحساب الخاص المُتفرّع»، يودع فيه مبلغاً حدّه الأقصى 50 ألف دولار من مجمل حساباته ليستفيد من التعميم، ليتم بعدها تسديد 400 دولار نقدية تسجّل في حساب «الأموال الجديدة»، و400 دولار بالليرة وفق سعر صرف 12 ألف ليرة، نصفها يُسدّد نقداً والنصف الآخر يودع في بطاقة مصرفية.

طالما أنّ المودع يستفيد من التعميم 158، تُعلّق ابتداءً من التعميم 151 الذي يسمح بسحب الودائع بالدولار وفق سعر صرف 3900 ليرة، «وبعد استنفاد الأموال في «الحساب الخاص المتفرع» يمكن لصاحب الحساب الاستفادة من التعميم الرقم 151». في ما خصّ الموظفين الذين يتلقّون رواتبهم بالدولار، يتمّ «تطبيق التعميم 151 على الأموال المرسلة من أرباب العمل فقط وليس على ودائع العملاء». أما النقطة المفتاح في بيان مصرف لبنان فهي أنّه «يبقى لصاحب الحساب حرية تحويل أمواله من «الحساب الخاص المتفرع» وإعادتها إلى الحسابات التي حوّلت منها أو أيّ حسابات أخرى ساعة يشاء، وتُصبح عندها غير خاضعة لأي قيود، وينطبق هذا أيضاً في حال قرر مصرف لبنان تعديل أو توقيف العمل بالتعميم المذكور» تقول المصادر المصرفية إنّ هذه النقطة «ليست عبثية، بل تتوافق مع نية سلامة تطبيق التعميم لسنة كحدّ أقصى، ومن الممكن أن تنخفض المدة إلى ستة أشهر، وهذا من ضمن الاتفاق الذي عقده مع المصارف حتى تقبل بتطبيق التعميم».

في الشكل، سيعتبر المودعون أنّهم كسبوا جرّاء حصولهم على بعض الدولارات من حقوقهم، وسحب الليرات بحسب سعر صرف 12 ألفاً عوض الـ 1500. وقد ينطبق ذلك فعلياً على المودعين ممّن لا تتخطّى حساباتهم الـ 10 آلاف دولار. لكنّ الانهيار في سعر صرف الليرة من دون مكابح، وملامسة سعر الدولار أمس حدود الـ 20 ألف ليرة، سيضعف من قيمة الأموال المسحوبة بالليرة. بالإضافة، فإنّ دخول التعميم حيّز التطبيق يترافق مع مرحلة رفع الدعم نهائياً عن استيراد المواد الأساسية، واستعاضة التجّار عن الحصول على الدولارات من مصرف لبنان باللجوء إلى السوق. وقد كان الحاكم رياض سلامة واضحاً أول من أمس خلال لقائه وفداً من الصناعيين، بحضور الوزير عماد حب الله، طالباً منهم «الاستعداد للمرحلة اللاحقة والتفتيش عن مصادر أخرى لتمويل استيراد المواد الأوّلية».

في الإطار نفسه، تُفيد مصادر مصرف لبنان بأنّ الأسبوع المقبل «سيتم البحث في الفواتير العالقة لطلبات الاستيراد المدعوم». أما بالنسبة إلى الدواء، «فبعد أن يُقدّم وزير الصحة حمد حسن اللائحة الموحّدة للأدوية المطلوب دعم استيرادها يوم الثلاثاء، سيتم بحثها في اجتماع المجلس المركزي الأربعاء لبتّها».

(الأخبار)



تقرير

# «إسرائيل» لأصدقائها الخليجيّين: لا ترسلوا دولاراً واحداً للبنان

**يحيى دبوق**

بإمكان البعض أن يجادل في أن «إسرائيل» ليست الجهة التي تسبّبت بالأزمة الاقتصادية في لبنان، إذ في البلد ما يكفي من فساد وفاسدين لينهار أكثر من مرة. لكن من المستغرب أن تغيب «إسرائيل» عن نقاشات ما بعد الأزمة واستفحالها، وكأنها جهة حياد تتلقى سلبيات ما يحدث وإيجابياته، من دون أي حراك منها.

أما أن تكون أزمة لبنان فرصة إسرائيلية، فهي حقيقة لا تقبل الجدال. فرهان «إسرائيل» الطبيعي أن تحقق الأزمة ما فشلت هي فيه. ما يعني بداهة أنها لن تلجم نفسها عن التدخّل لتحسين فرصتها الكامنة في الأزمة اللبنانية، وتوجيهها بما يخدم مصالحها، وخاصة أنها تدرك أنها تجد آذاناً صاغية لتوجّهاتها لدى الأطراف المؤثّرة في الأزمة، كما هي الحال مع الولايات المتحدة وأصدقائها في الخليج.

وليست «إسرائيل» الجهة التي ترفض تلقّي الفرص، هذا إن لم تكن هي شريكة في بلورتها. وأن تكون «إسرائيل» خارج دائرة الاتهام، وإنْ بالتكافل والتكامل مع الأسباب الداخلية التي لا نقاش في أنها تسبّبت بشكل رئيسي في دفع لبنان إلى الانهيار، يثير أكثر من علامة استفهام.

ما يرد من «إسرائيل» يحمل الشيء ونقيضه. ظاهرياً، وزير الأمن بني غانتس يحرص على تظهير «حياد» تل أبيب و«تعاطفها» مع لبنان، ويعرض المساعدات الاقتصادية لمنع «مشاهد الجوع في طرقاته التي ينفرط لها قلبه»؛ في المقابل، تؤكد التسريبات العبرية أيضاً، الوازنة، أن تل أبيب تضغط على حلفائها في كل الاتجاهات، ومن بينهم أصدقائها في الخليج، كي تمنع أي مساعدة اقتصادية للبنان.

عيّنتان تظهر تعبيراتهما في ما يرد من تل أبيب. واحدة «طنانة» تتباكى، وأخرى تعمل بجهد وإصرار على تعميق الأزمة في لبنان. المفارقة أن التباكي، كما ورد على لسان غانتس، سبقه قبل أيام وعلى لسانه أيضاً، تهديدات بقتل المدنيين اللبنانيين وتدمير بنيتهم التحتية، ضمن وتيرة تهديدات جاءت عالية جداً وربما غير مسبوقة، قادها غانتس نفسه، المتباكي على لبنان.

لكل من العيّنتين وجهة وهدف، ومن الممكن أن تستتبعهما خطوات وإجراءات أكثر انكشافاً ومباشرة، سواء ما تعلق بالتباكي، أو بالتحريض على تعميق الأزمة.

مع ذلك، يمكن استحضار التوجهات العامة للمسعيَين، عبر مواقف وأفعال الجانب الأميركي، المعبّر الأول عن مصالح «إسرائيل» في لبنان.

في الوقت نفسه، ولأهمية الموضوع وضرورات الإحاطة به، من المفيد الإشارة الى محددات العلاقة بصورتها الأوسع التي تحكم مجمل المقاربة الإسرائيلية للبنان، ومن بينها ضرورات التدخل، وإنْ بصورة غير مباشرة، لاستغلال الأزمة اللبنانية وتعميقها أكثر بما يخدم مصالح «إسرائيل». وفي مقدمة تلك المحدّدات، نظرة تل أبيب إلى الساحة اللبنانية بوصفها ليست جهة تهديد لأمنها وحسب، بل أيضاً ما يتجاوز لبنان ويؤدي دورها الوظيفي في المنطقة. وهو في ذاته كاف جداً كي يدفع «إسرائيل» إلى التحرك بفاعلية عبر أهمّ «الأدوات» الموجودة لديها التي لها دور مؤثّر وحاسم، في الأزمة اللبنانية: الولايات المتحدة الأميركية.

ففي التوجهات الاستراتيجية الإسرائيلية، يحتل لبنان موقعاً يرتبط بأطماع إسرائيلية تاريخية تعزّزت أكثر في العقدين الأخيرين، ربطاً بثروات اقتصادية لبنانية كامنة فيه، فيما هو أيضاً ساحة تهديدات تتعاظم مع مرور الوقت، بما لا يلجم «إسرائيل» عن لبنان وحسب، بل أيضاً بلجمها إن تعاظم التهديد أكثر، ودون أي مبالغة، عن ممارسة دورها الوظيفي الأوسع في المنطقة. ولبنان في الفكر الاستراتيجي الإسرائيلي ليس مجرد حيّز جغرافي مجاور، بل هو مصدر تهديد بات متميزاً في قدراته التي تجاوزت خيارات «إسرائيل» العسكرية والأمنية، التي عملت تل أبيب على اختبار معظمها، ومن بينها الحرب العسكرية المباشرة، من دون تحقيق انتصار فيها.

من هنا، تُستغرب استبعاد «إسرائيل» عن نقاشات الأزمة الاقتصادية في لبنان، ليس عن دورها في التسبب بها كونها افتراضاً محل جدل وأخذ وردّ، لكن المستغرب هو استبعاد دورها وتأثيرها على تفاقم الأزمة بعد حصولها، وعلى استمرارها وتعزيزها، وكذلك على منع إيجاد الحلول لها، علماً بأن الأزمة محط اهتمام ورهان لدى تل أبيب، منطقي وطبيعي، سواء أعلنت ذلك أو أخفته.

الدور الإسرائيلي في الأزمة اللبنانية، غائب بحرص على تظهير، هو واقعاً متطابق إلى حد كبير جداً مع السياسة الأميركية تجاه لبنان. إذ إن أولويات واشنطن في الساحة اللبنانية وما يرتبط بها هي «إسرائيل» ومصالحها وأمنها. أي أن السياسة الأميركية تجاه لبنان هي ترجمة من ناحية عملية لمصالح إسرائيل على الساحة اللبنانية، وإن جاءت هذه السياسة عبر إجراءات وقرارات وتوجّهات بقوالب أميركية.

من هنا، أيّ حديث عن دور أميركي في إنتاج الأزمة في لبنان، وإن جاء بالتكامل والتفاعل مع الأسباب الداخلية من فساد ومفسدين، هو تعبير عن مصلحة إسرائيلية.

وكان واضحاً جداً، منذ بدء الأزمة، أن لـ«إسرائيل» مصلحة في تعزيز الأزمة وتعميقها، ومن ثم استغلالها كظرف ضاغط يحسّن من فرصها ضد المقاومة في لبنان. تجلّى ذلك في أكثر من محطة وحدث في الأشهر الماضية، استدعت من المقاومة اتخاذ إجراءات رادعة، منها ما أعلن عنه، ومنها ما غاب عن التداول الإعلامي، وإن اتّضحت معالمه لاحقاً.

ولم تُخفِ «إسرائيل» جهودها، عبر ما تمظهر من أفعال وتوجهات الجانب الأميركي، في استغلال الأزمة إلى حدها الأقصى، وإن مع حرص على ألّا تتحول الى تهديد: دفع لبنان إلى حافة

> **«معاريف»: سيناريو الاستثمار الروسي أو الصيني في لبنان مثير للقلق في «إسرائيل»**

الانهيار، لكن دون الانهيار الفعلي. إذ لا هي ولا غيرها، وإن بمعية جهات لبنانية، ستكون قادرة على التحكم بالأوضاع الميدانية عبر الأدوات المعتادة في حال تحقق الانهيار الكلي للبنان. وهذا هو التوجه الأميركي ومحدداته، وهو بطبيعة الحال الترجمة الفعلية لمصالح «إسرائيل» وتوجهاتها.

لكن لا فرصة مطلقة، كما لا تهديد مطلق. من هنا تأتي محاذير المقاربة والتحديات: كيف يمكن الإمساك بالفرصة المتمثلة بالأزمة اللبنانية من دون الإضرار بها، ومن دون تمكين الأعداء، والمقصود هنا المقاومة، من تحويل التهديد الماثل أمامها الى فرصة مقابلة تضرّ بـ«إسرائيل»؟

حتى الأمس القريب، كان ما يرد من تل أبيب سردياً وتغطية إعلامية عبر نقل وترجمة مختارة وموجّهة لما يرد من لبنان. لكن في الأيام الأخيرة، باتت المقاربة الإعلامية والتسريبات مغايرة، وتشير الى خشية ما من إمكان نجاح حزب الله وحلفائه في تحويل التهديد إلى فرصة، وبما يكفل الإطاحة بالرهان الإسرائيلي على الأزمة.

إطلاق الضوء الأحمر في تل أبيب جاء بعدما تلمست جدية مساعي حزب الله وخطته في تخفيف وطأة الأزمة الاقتصادية عبر إنهاء التحضيرات اللازمة لمباشرة تنفيذ تلك المساعي. من هنا، لم يحدث صدفةً قطعُ الطريق على أي محاولة لإيجاد حلول للأزمة عبر الشرق (ليست إيران هي الجهة الوحيدة فيه)، الأمر الذي استدعى جهداً إسرائيلياً في اتجاهين لم تتضح نتائجهما الكلية بعد، وإن تكفل الإعلام العبري تظهير نيات تل أبيب منهما.

تَرِد في الإعلام العبري تسريبات عن مصادر عسكرية، تشير إلى أن سيناريوات نتائج الأزمة في لبنان، تحمل أكثر من وجه، وإنْ كانت باكثرها مقلقة لـ«إسرائيل». تأتي هذه التسريبات بعدما سبقتها أخرى، كانت مشبعة بالأمل والرهان على «نتائج طيبة»، لكن حسيما تبيّن أخيراً (معاريف 2021/07/09)، «في الغرف المغلقة، تطلب إسرائيل من كل أصدقائها، أي الولايات المتحدة ودول أوروبية وكذلك دول الخليج، أن يمتنعوا عن تحويل حتى دولار واحد إلى لبنان طالما أن حزب الله يواصل إقامة مصانع صواريخ دقيقة في قلب بيروت. إسرائيل تؤيد مساعدة إنسانية للجيش اللبناني الجائع، لكنها تطلب عدم تزويده بوسائل قتالية إضافية يمكن أن توجّه ضدها».

تضيف «معاريف»، نقلاً عن المصادر نفسها، إن «السياسة الإسرائيلية تجاه الأزمة اللبنانية منطقية، لكن قد تكون لها نتائج غير مرغوب فيها. إذ في غياب مساعدة غربية، ستتدخل كل من روسيا والصين إلى الفراغ في لبنان، وستقترحان استثمارات في إعادة إعمار المرافئ وإقامة محطات طاقة ومعامل تكرير». وهو سيناريو، تقول المصادر، مثير للقلق، إذ «إنّ إسرائيل مرتدعة الآن عن العمل علناً ضدّ حزب الله في لبنان، وإذا تمّ تثبيت وتدٍ روسي أيضاً في هذا البلد، فتكون النتيجة ردعاً إضافياً لإسرائيل».

(هيثم الموسوي)

قضية اليوم

# الجولة الأولى بين المحقّق العدلي ومجلس النواب:
# المزيد من «المغمغة»

**تحوّلت أولى جلسات «الهيئة المشتركة» في مجلس النواب إلى مسرح لنقاش سياسي مغلّف بأطر دستورية. استطاع من خلالها النواب الحاضرون، «موقتاً»، تفادي «الحكم الأولي» الصادر عن المحقق العدلي في جريمة المرفأ، القاضي فادي بيطار، المطالب برفع الحصانة عن 3 نواب ــ وزراء سابقين**

ميسم رزق

الذين اجتمعوا أمس في عين التينة «على المحقّق العدلي» في جريمة تفجير مرفأ بيروت، خلصوا إلى الآتي: «ما تقدّم به القاضي طارق بيطار من حيثيات ليس كافياً» لاستجابة مجلس النواب إلى طلبه رفع الحصانة عن الوزراء السابقين ـ النواب الحاليين: علي حسن خليل، غازي زعيتر ونهاد المشنوق». ما صدر بعد اجتماع الساعتين لم يحمل مفاجأة. أصلاً، لم يكن مُنتظراً أن يُعطي لبيطار ما يُريده «مُعجّلاً مكرّراً»، رغم أن الجريمة تتقدم على كل ما عداها من ملفات «الضرورة». ومهما علت أصوات أهالي الضحايا

**الآن عون: الحصانة النيابيّة هدفها حماية النائب بسبب قناعاته لا للتغطية على ارتكاباته**

الذين اعتصموا على مدخل «قصر عين التينة» ضد المتورطين وحُماتهم، ثمّة تسليم بأن المعركة لم تعُد بينهم وبين هؤلاء. المعركة الأساسية في هذا الملف انتقلت إلى مكان آخر، الجنود الأضعف فيها هم ورثة الدم، ظاهرها دستوري وباطنها سياسي بين طرفين، لكل منهما خلفية تحرّكه (المجلس والقاضي). أما حصيلة الجولة الأولى بينهما، فهي «المزيد من مغمغمة الملف».

لم يكُن مجلس النواب يحتاج إلى أكثر من الطرق التي تركها المحقق العدلي مفتوحة أمامه ليستخدمها «كدفوع شكلية» يتفادى بها مؤقتاً «الحكم الأولي» الصادر عن بيطار. صحيح أن الأخير تنبّه الى ما «سها» عنه سلفه القاضي فادي صوان، ودخل على أعضاء المجلس من أبوابه طالباً الإذن، إلا أنه غفل ممرات أخرى تستطيع هيئة مكتب المجلس مع لجنة الإدارة والعدل سلوكها سالمين من «الرضوخ للضغوط».

وقد كانت هذه الممرات هي الأفكار المطروحة للنقاش على طاولة الهيئة المشتركة أمس، والتي لا بدّ من الإشارة أولاً قبل سردها، إلى الأخذ في الاعتبار أن لا مجال إلا لرفع الحصانة، بعد رفض القاضي بيطار الاستماع الى الوزراء السابقين كشهود قبل الادعاء عليهم، على أن ترفع الحصانة في ما بعد، وهو ما أشار إليه رئيس مجلس النواب نبيه برّي خلال الجلسة بعد سؤال عدد من الحاضرين عن إمكانية ذلك. أما في ما بقي من مداولات، فإن أعضاء الهيئة المشتركة من مختلف الكتل تقاطعوا عند نقطة أن «الجلسة كانت دستورية، وحصل فيها استعراض للوقائع والنصوص، والكتب الموجّهة من بيطار الى المجلس والمستندات المرفقة بها»، مع السؤال: «ما هو الممكن أن نفعله في هذه الحالة؟» والممكن معناه مدى القدرة على الاستعانة بالنصوص الدستورية لكسب وقت إضافي.

من هنا، انطلق البحث الذي سبقته مداخلات للنواب (الوزراء السابقين) «المطلوبين للعدالة»، حيث عرض كل منهم ما الذي حصل معه. قال المشنوق إنه لم يتلقّ إلا مراسلة واحدة بشأن نيترات الأمونيوم في المرفأ، فيما كان خارج البلاد، و«كان المجلس الأعلى للدفاع قد انعقد قبل ذلك ولم يتوقف عند الأمر»، مشيراً إلى أن «المعلومات التي وصلت إليه كانت تشير الى أن الباخرة تمرّ بشكل ترانزيت ولا علم بأن هناك مواد سيتمّ إدخالها الى المرفأ، ومن ثم في ما بعد علمنا بها وبوجود حكم قضائي يتعلق بها». وكذلك كانت مداخلات زميليه زعيتر وخليل، فيما جرت الإشارة الى أن «التحقيقات التي حضرها بعضهم قبل ذلك مع القاضي صوان لم تستمر لأكثر من ربع ساعة وأنه لم يتعامل معهم كمدعى عليهم أو كمتورطين».

كل النواب المثلّين للكتل السياسية كانوا موافقين على أن «الأوراق الموجودة في عهدة المجلس لا يُمكن الاستناد إليها لبناء موقف قانوني». باستثناء رأي ممثلي حزب الله النيابية النائبين جورج عدوان وجورج عقيص اللذين حضرا الجلسة بـ«حكم مُسبَق»، على حد وصف بعض زملائهم، و«طالبا برفع الحصانة بمعزل عن أي شيء، ومن ثم يُمكن للنواب تقديم الاعتراضات»، وهو موقف وضعه البعض في خانة «المزايدات الشعبوية ليس إلّا»، علماً بأنهما كانا مؤيدين لفكرة أن «المستندات ناقصة». وكان عدوان وعقيص قد «اقترحا تقديم توصية برفع الحصانة، ومن ثم تُطلب المستندات الإضافية من القاضي».

النواب الذين تحدّثت إليهم «الأخبار» اشتكوا بأن «الكتب التي وصلتنا مرفقة بتقارير من الأمن العام والجمارك مبهمة»، لذا «نطالب بالمزيد من المستندات» وهذا حقنا بحسب ما تنص عليه المادة 91 من النظام الداخلي التي تقول بأن «طلب الإذن بالملاحقة يقدّمه وزير العدل مرفقاً بمذكرة من النائب العام لدى محكمة التمييز تشتمل على نوع الجرم وزمان ومكان ارتكابه وعلى خلاصة عن الأدلة التي تستلزم اتخاذ إجراءات عاجلة»، في حين أن «كتب المحقق العدلي لا تتضمن كل ذلك»، بحسب ما ادّعوا.

هذه أول مادة التجأ إليها المجتمعون لتأجيل بتّ طلب رفع الحصانة عن الوزراء السابقين. بل أكثر من ذلك، اعتبروا أن هذه المعطيات «ليست كافية بتأليف لجنة تحقيق برلمانية تضع يدها على ملف التفجير قبل أن تحيل الادّعاءات بحقّ الوزراء المعنيّين في حال ثبوت تورّطهم»، وهي المادة التي تسلّحوا بها لتوضيح نقطة أساسية، ألا وهي «أن الهيئة ليست هي الجهة المخوّلة بإعطاء الإذن، وإنما على هيئة مكتب المجلس تقديم التقرير الى الهيئة العامة لمجلس النواب وهناك يعطى الإذن أو يُحجَب، وهذا التقرير يجب أن يكون مُحكماً بحسب ما تطلب المادة»، وبالتالي «الحديث عن رفضنا الطلب من عدمه كلام غير دقيق».

كما أخذت المادة المتعلقة بأصول محاكمة الرؤساء والوزراء جزءاً كبيراً من النقاش وهي المادة 70 من الدستور التي تنصّ على صلاحيّة مجلس النواب باتهام رئيس مجلس الوزراء والوزراء بارتكابهم الخيانة العظمى أو بإخلالهم بالواجبات المترتّبة عليهم». حتى على هذه المادة فُتح الجدال لأنّ «النصوص لم تحدّد ماهيّة الجرم للوزراء، إن كان إهمالاً وظيفياً أو غير ذلك»، بينما اعترض البعض على قاعدة أن التحقيق «كان يجب أن يكون في الأساس في عهدة المجلس، وكان من المفترض تأليف لجنة برلمانية للتحقيق بدلاً من أن يكون بيد القضاء». غير أن كل هذه النقاشات لا تلغي حقيقة أن أهالي الضحايا يريدون مسؤولاً عن هذه الجريمة «ولا يمكن أن لا تكون الدولة مسؤولة» كما أشار النائب الآن عون مثلاً، الذي اعتبر أن «الحصانة هي فقط لحماية النواب في حال استهدافهم بسبب قناعاتهم السياسية وليس للتغطية على ارتكاباتهم».

كل هذه المداولات اختصرها نائب رئيس المجلس إيلي الفرزلي بالقول «انتهينا بوجوب طلب خلاصة عن الأدلة الواردة بالتحقيق وجميع المستندات والأوراق التي من شأنها إثبات الشبهات والمتعلقة بكل من المدعوين للاستجواب، سنداً للمادة 98، للتأكد من حيثيات الملاحقة، لنبني على الشيء مقتضاه وأخذ الإجراءات الدستورية الضامنة لإحقاق الحقيقة».

في السياق نفسه، رفض وزير الداخلية محمد فهمي منح الإذن بملاحقة المدير العام للأمن العام اللواء عباس إبراهيم. فما كان من القاضي بيطار إلا أن «استأنف» قرار فهمي، طالباً من النيابة العامة التمييزية منحه إذن ملاحقة إبراهيم. وسيكون أمام النيابة العامة 15 يوماً ليتّخذ طلب بيطار، إما رفضاً، أو موافقة. وفي حال انقضاء المهلة من دون قرار، يُعدّ ذلك موافقة على الملاحقة.

(عروات بو حيدر)

أوجيرو
من عمّا
مناقصة عمومية
لتزويد آليات ومراكز وزارة الاتصالات وهيئة أوجيرو وبمادتي البنزين والديزل أويل وتغيير الزيوت والفلاتر مع خدمة الغسيل (إعادة)
تدعو هيئة أوجيرو الشركات المتخصصة إلى تقديم عروض بالظرف المختوم وذلك لتزويد آليات ومراكز وزارة الاتصالات وهيئة أوجيرو وبمادتي البنزين والديزل أويل وتغيير الزيوت والفلاتر مع خدمة الغسيل.
يمكن الحصول على دفتر الشروط الخاصة بذلك من مركز اوجيرو الرئيسي في بئر حسن ـ مقابل المدينة الرياضية، الطابق الأول ـ الغرفة ١١٨ اعتباراً من نهار الجمعة الواقع فيه ٢٠٢١/٧/٩ وذلك خلال الدوام الرسمي، على أن يكون آخر موعد لقبول العروض الساعة الثانية عشرة من نهار الثلاثاء الواقع فيه ٢٠٢١/٧/١٣.
تجري جلسة فض العروض الساعة العاشرة تماماً من نهار الأربعاء الواقع فيه ٢٠٢١/٧/١٤.
ملاحظة: تقدم العروض لدى أمانة سر الهيئة في الطابق الثاني ـ الغرفة رقم ٢١٩.



في الواجهة

# شيا وغريو في الرياض: قفلٌ يبحث عن مفتاح

**المعوّل عليه انتظار النتائج الفعلية للزيارة المنسّقة للسفيرتين الأميركية دوروثي شيا والفرنسية آن غريو للرياض في 8 تموز. وما أفضت إليه حيال الحارَق الحكومي وتفادي الانهيار. وأيّ موقف سعودي تعودان به من المحادثات التي أجرتاها هناك؟**

نقولا ناصيف

لم يتعدَّ البيان المقتضب البارحة للسفيرتين الأميركية دوروثي شيا والفرنسية آن غريو، في ختام محادثاتهما مع المسؤولين السعوديين في الرياض، تكرار موقفَي حكومتيهما من الأزمة الحكومية اللبنانية، المقترنة بالانهيارين الاقتصادي والاجتماعي، من غير أيّ إضافة من شأنها تفسير مغزى الزيارة المشتركة تلك ونتائجها، النادرة الحصول.

غالباً ما عمدت الدبلوماسيتان الأميركية والفرنسية، كل على حدة، الى الاضطلاع بدور مطابق في أزمات تخبّط فيها لبنان في السنوات الأخيرة، بسبب تعذّر انتخاب رئيس للجمهورية أو استعصاء تأليف حكومة. كان يحدث أن يذهب أي من سفيري العاصمتين العظميين، أو كلاهما، الى السعودية وإيران، قطبي الجذب السلبي في الأزمة اللبنانية، طلباً للمساعدة على إخراجها من أدران التعقيد. بسبب صلة الرياض وطهران بفريقَي التسعير المذهبي السنّي ـ الشيعي، وهما تبَارِ المستقبل وحزب الله، اقتضى تحرّك الديلوماسيّتين الأميركية والفرنسية على نحو كذلك. أما مشكلة اليوم فمختلفة. طرفا الثنائي السنّي ـ الشيعي حليفان وطيدان، كلاهما متمسك بالآخر الى جانبه، دونما أن يُعرف فعلاً الى مَن يُعزى التعطيل والعطب.

السابقة غير المطابقة لما يجري الآن، وهي أبعد بكثير من تأليف حكومة، كانت الدور الذي اضطلع به عام 2005 السفيران الأميركي جيفري فيلتمان والفرنسي برنار إيميه، في الإشراف المباشر على قلب موازين القوى الداخلية في البلاد، على إثر اغتيال الرئيس رفيق الحريري، وفرض موعد انتخابات نيابية قلبت رأساً على عقب الغالبية من حلفاء سوريا الى أعدائها، ومن ثَمّ محاولة محاصرة حزب الله بعد مغادرة الجيش السوري لبنان. ذاك التنسيق الذي استمر حتى عشيّة 7 أيار 2008، أتاح وضع اللعبة السياسية الداخلية بين يدَي السفيرين، وأحال الزعماء والسياسيين اللبنانيين، ولا سيّما اللصيقَين بهما، العوبة وفي الوقت نفسه مصادر أخبار ومعلومات مضلّلة. انقضت المرحلة تلك يوم حدث 7 أيار.

إلى الآن، على الأقل، على أهمية دوزي السفيرتين انسجاماً مع الاجتماع الثلاثي في إيطاليا في 29 حزيران، وضمّ الى وزيري خارجية بلدَيهما أنطوني بلينكن وجان إيف لو دريان نظيرهما السعودي فيصل بن فرحان، إلا أن شيا وغريو، وكذلك حكومتيهما، وإن كانتا تملكان القفل، ينقصهما المفتاح الذي يدور فيه. وهو الرياض، الشريك الجديد في هذا الثلاثي.

في ظاهر ما يحدث، خلافاً لواشنطن وباريس المهتمتين بتفاوت، تتصرّف المملكة على أنها غير معنية بما يتوالى فصولاً في لبنان، دستورياً واقتصادياً ونقدياً واجتماعياً. لا موقف لها من تأليف الحكومة قبل صدور مراسيمها، ولا قرار لها قبل التأكد من موقع حزب الله في المرحلة المقبلة، ولن تمدّ لبنان بأيّ مساعدة ما لم تشعر بأن ثمة تغييراً حقيقياً يحصل فيه.

لأن الأمر كذلك، فإن الأيام التالية لعودة السفيرتين الى بيروت من شأنها أن تفسح في المجال أمام الخوض في خيارات جديدة، وإن بدا بعضها مؤكداً تارة أو غير محسوم وملتبساً طوراً.

منذ عودته من الخارج ومقابلته رئيس البرلمان نبيه برّي في 5 تموز، لا حديث في أوساط الرئيس المكلف سعد الحريري سوى التأرجح ما بين اعتذاره الذي لا يتحمّس له من هؤلاء أيضاً. ورغم ما يُنسب إليه أنه قاطع في قرار الاعتذار، لكنه يحتفظ لنفسه بتوقيته، إلا أن المؤكد أيضاً أن لا اعتذار قبل اجتياز الحريري ممرَين ملزمين:

أولهما، زيارة برّي ـ يرجّح البعض حصولها منتصف الأسبوع المقبل ـ ومناقشة الأمر معه نهائياً لمرة أخيرة ينجم عنها الاعتذار المصمّم عليه الرئيس المكلف. لا اعتذار قبل الاجتماع برئيس المجلس، ولا اعتذار لا يقتنع مضيفه بدوافعه.

**شيا وغريو تستعيران دوزيّ فيلتمان وإيميه عام 2005**

ثانيهما، اطّلاعه من السفيرتين الأميركية والفرنسية ـ أو إحداهما ـ على ما عادتا به من الرياض حيال الموقف منه، أكثر منه بإزاء ما تريده أو لا تريده من تأليف الحكومة.

بعض المعطيات المرتبطة بالمهمة الأخيرة للسفيرتين الأميركية والفرنسية في الرياض، يتحدّث عن أنهما حملتا معهما أحد خيارَين كي يفاضل المسؤولون السعوديون ما بين أحدهما، على أنهم شركاء فعليّون لواشنطن وباريس في منع الانهيار الشامل لهذا البلد، ما يتسبّب للبنانيين بفقدانه تماماً، لكنه مصدر إقلاق مهم أيضاً للعواصم الثلاث تلك المؤثرة فيه والمتأثرة به، أضف أن لديهما نفوذاً تقليدياً تاريخياً عميقاً في علاقة كل منهما بالدولة اللبنانية، كما بالافرقاء المحليين:

أول الخيارَين المحمولين الى الرياض يقترح ـ في حال تأكد أن ثمة إصراراً سعودياً لا عودة عنه هو رفض ترئيس الحريري الحكومة ـ أن يصير الى طرح بضعة أسماء تخلفه، من غير أن يُعدّ أصحابها بالضرورة مرشحي المملكة، بيد أنها تدعمهم ولا يزعجونها، ويتمكّن الأميركيون والفرنسيون من تسويق أحدهم في الداخل، وخصوصاً لدى رئيس الجمهورية ميشال عون وحزبه ولدى حزب الله. تجاوب الرياض مع الخيار الأول، بمرشحين غير مستفزّين، يتيح للأميركيين والفرنسيين أيضاً مفاتحتها والتمنّي عليها دعم لبنان مالياً، وإعادة إنعاش اقتصاده وانتشال نقده الوطني من القعر.

ثاني الخيارين في حال تشبّث السعوديين برفض ترئيس الحريري، كما برفض اقتراح أي اسم بديل منه، أن يصير على الأقل الى توفير مقوّمات صمود البلد الآيل الى السقوط. يقضي ذلك بتقديم مساعدات الى اللبنانيين مباشرة، كمستفيدين فعليين، من خلال حكومة تصريف الأعمال التي تبقى إذذاك الخيار الوحيد الباقي في ظلّ تعذّر التوصل الى تأليف حكومة جديدة. يقصد بالمساعدات هذه، إحداها التي تتيح للمجتمع مواجهة مشكلاته المعيشية كتمويل البطاقة التموينية. بيد أن الشقّ الأهم في هذا الدعم يكون للجيش وقوى الأمن اللبنانية على أنهما الرهان الوحيد من أجل المحافظة على الحد الأدنى من الاستقرار الأمني الداخلي، تحت وطأة تهاوي كل المصادر الأخرى المتبقية للاستقرار، السياسي والاجتماعي والاقتصادي والنقدي.

مقالة

## التعثّر الفرنسي وبدائل الحريري

هيام القصيفي

الدعوة إلى وضع لبنان تحت إدارة دولية في ما يشبه ما حصل في كوسوفو، ليس نقاشاً حديث العهد، ولا يتعلق بتطورات آنيّة تتعلق بالانهيار المالي والاقتصادي. إذ إنه طرح في نقاشات استراتيجية وعبر مراكز أبحاث معنية بأوضاع المنطقة منذ أكثر من سنة ونصف سنة، عشيّة بدء ملامح الانهيار والانتفاضة في 17 تشرين الأول عام 2019. وكان يتردّد صداه بين الحين والآخر كلما اشتدت الأزمات الداخلية، لكنه لم يرقَ الى مستوى التداول به كقرار لدى عواصم نافذة. وقد تكون المرة الأولى التي يمكن الكلام فيها عن خطوة أكثر تقدماً عبر توصية لجنة الدفاع والقوات المسلحة في البرلمان الفرنسي. ورغم أن التوصية ليست قراراً، إلا أنها تعدّ تطوراً لافتاً في مسار العمل الفرنسي تجاه لبنان، وورقة جديدة تضاف إلى أساليب الضغط التي بدأ البحث فيها منذ مدة حياله والمسؤولين فيه.

كان الرئيس الفرنسي جاك شيراك عاملاً أساسياً في تهيئة ظروف القرار 1559. لكن من أخذ القرار الى الحدّ الذي أصبح على ما هو عليه وتفاعلاته حينها، كانت الإدارة الأميركية. اليوم يكاد السيناريو يتكرر، فالفرنسيون يشكلون عامل ضغط أساسياً، منذ سنة حتى الآن، في الدفع في اتجاه ما هو أكبر من المبادرة الفرنسية بعد تعثّرها. لكن هذا الضغط لا يزال يراوح مكانه لأن إدارة الرئيس الأميركي جو بايدن لم تتّخذ قراراً بعد في الدفع في أيّ من الاتجاهات. والفرنسيون في سعيهم للقيام بدور صلة الوصل بين طهران وواشنطن في الاتفاق النووي من جهة، وتعزيز حضورهم في لبنان من جهة أخرى، يدركون أن هناك تحدّيات تتعلّق بوضعهم الدولي بين الحضور الأميركي وانحياز الإدارة الأميركية أساساً الى بريطانيا وألمانيا أكثر من فرنسا، وبين سعيهم الجدي الى أن يعزز دورهم في لبنان صحانتهم الإقليمية والدولية.

في موازاة هذه التشابكات، يتجه الوضع اللبناني بسرعة تفوق تحرك الدول المعنية، نحو الانهيار. وهذا تماماً ما انعكس تكثيفاً للاتصالات الدولية في سباق بين السعي الى منع انفراط البلد بكل ما للكلمة من معنى، بما يضمن أكثر من الحفاظ على الاستقرار، وبين الضغط لإجراء الانتخابات النيابية في موعدها. على افتراض «خاطئ» لدى هذه الدول أن الانتخابات ستبدّل المعطيات الحالية أو تقلب نتائج التصويت الشعبي السابق للطبقة السياسية نفسها، سلطة ومعارضة على السواء. وهذا هو التحدي الأكبر الذي تحاول باريس، مستندة الى واشنطن، التعامل معه من خلال تواصلها مع دول المنطقة. إلا أنها بدأت تدرك متأخّرة أن ثمّة استحالة في إبقاء الأمور تحت السيطرة، في ظل استمرار الانهيار الاقتصادي بوتيرة سريعة، وخصوصاً أن نتائج كل محاولات الدعم المالية التي كانت تراهن على الحصول عليها في إطار ترتيباتها العملانية لا تزال سلبية. وفيما تعمل باريس وواشنطن بأسلوبين مختلفين، إلا أن الأولى تحاول حمل العصا من منتصفها، بمعنى إبقاء العلاقات مع المكونات اللبنانية على توازنها، حتى إنها حاولت التصرف مع حزب الله بارتياح يشبه ارتياح فرنسا أيام الرئيس رفيق الحريري، من دون أن تفقد أوراق الضغط المؤثرة ومنها السعي مع السعودية لتأليف الحكومة بسرعة. لكن الغطاء السعودي الذي كانت تعوّل عليه لبقاء الرئيس سعد الحريري، لا يزال مرفوعاً.

من هنا جاء طرح اسم الرئيس نجيب ميقاتي (بعدما سحب التداول بحكومة غير مرشحين للانتخابات) كحل يتمتع بشرعية سنية يعكس ما كانت عليه حال الرئيس حسان دياب. ثمة نقاط جرى البحث فيها بشأن موقف رئيس الجمهورية ميشال عون. فإذا كان سيقبل بميقاتي (أو أي شخصية سنية أخرى) من دون أن يقدم له ما لم يعطه للحريري، فهذا يعني أن الرئيس المكلف لن يتمكن من تأليف حكومة شأنه شأن الحريري. وإذا قبل الرئيس المكلف شروط عون، فهذا يعني أنه سيفقد الشرعية السنية، وتالياً سيبقى المآزق الحكومي على حاله. السؤال الثالث هنا هو: هل سيقبل عون التنازل عن شروطه، وكيف سيكون حال الرئيس المكلف إزاء الحريري ونادي رؤساء الحكومات السابقين في الحصول على ما لم يتمكّن الحريري من تحصيله؟

كل هذه الأسئلة تعكس الأفكار المطروحة التي لم تصل بعد الى صياغة مقبولة لمخرج للأزمة الحكومية. إذ تردّد أن بين الشروط الموضوعة لقبول ميقاتي تكليفه بحكومة جديدة الحصول على تعهد مسبق من حزب الله ورئيس الجمهورية بتأليف لا يتعدّى أياماً معدودة للحكومة، وبحرّية المفاوضات مع صندوق النقد وغيرها من الضروريات لوضع خطة إنقاذ اقتصادية. فكيف يمكن الخروج بمثل هذه التعهدات، من دون غطاء إقليمي ودولي، أكبر من دور باريس، يساهم في وضع مخارج للأزمة؟ حتى الآن، تتصرّف باريس كأنها راعية لحلول ومبادرات متواصلة من ضمنها الحصول على استقرار الوضع الداخلي، لكن النتيجة لا تزال سلبية لها وللبنانيين على السواء.

# مشروع سيرة إدوار سعيد، وإلصاق المواقف بالموتى [5]

**أسعد أبو خليل ***

لا يزال الحديثُ هنا عن كتابيْن جديديْن صدرا في الغرب عن إدوار سعيد: كتاب لتلميذ سعيد، تموثي بريننان، «أماكن في الفكر: حياة إدوار سعيد»، وقبله صدر في فرنسا كتاب دومينيك إيد، «إدوار سعيد: فكره كرواية» — والأخير لم يلقَ تغطية تُذكر على عكس الأوّل. والمعضلة في تناول إرث سعيد وكتابة سيرته ان الرجل سيتعرّض للاستغلال في مماته، وأخشى — في كتاب بريننان، وحتى في كتاب دومينيك إيد — أن ذلك قد بدأ، وقد صارحتُ بريننان بمخاوفي عندما تناظرنا في ندوة مركز كمبردج للدراسات الفلسطينيّة قبل أسبوع. ومراجعات كتاب بريننان تكاد تلتقي في سوء تفسير سعيد السياسي أو في استخدامه في الحرب الإقليميّة الجارية حاليّاً في المنطقة. أثبتُ هنا مثلاً نكشاً لجملة من سعيد عن النظام الإيراني أو السوري، لكنّ هناك جملاً ضد باقي الأنظمة: أنظمة الخليج أو النظام المصري أو الأردني أو حتى نظام أمين الجميّل الذي كان سعيد شديد العداء له، لن تجدها. وعندما كنت أعدّ مقالة مراجعة لكتاب كنعان مكيّة «الوحشيّة والصمت» والذي جاز فيه على سعيد واتهمه بالصمت عن قمع الأنظمة، علمْ سعيد وأرسل لي بالبريد السريع دستة مقالات وخطب كان قد كتبها أو ألقاها، وفيها إدانة لكل الأنظمة العربيّة من دون استثناء. واستخدام الموتى أسلوب شائع في ثقافة الطغيان السعودي-الإماراتي-القطري. لم يعد مهدي عامل الماركسي-اللينيني المقارع الشرس للبيرالية كما كان في حياته، أي يسارياً متزمّتاً. بات أداة فقط في يد اليمين الذي يريد أن يستخدمه في معاركه الحالية ضد أعداء إسرائيل. وفي الكتاب الجديد الصادر بالانكليزيّة عن كتابات مهدي عامل («الماركسية العربيّة والتحرّر الوطني») تطالعك المقدّمة لتجزم بأن حزب الله هو الذي قتل مهدي عامل. تاريخ وسير من صراعات محتدمة لسنوات سبقت اغتياله بين «أمل» والحزب الشيوعي طمسها النسيان. لم تعد مهمة، لأن جثّة عامل تصلح في معارك اليمين ضد حركة مقاومة إسرائيلي. والطريف أن كتّاب الإعلام السعودي يستخدمون عامل الذي كتب في تقريع البيرالية العربيّة قبل أن نتنبّه لها نحن (وكان كريم مروّة ينتهم أمل باغتياله قبل أن يتذكّر أن غازي كنعان همس له بمسؤوليّة حزب الله). نعلم أن الاهتمام بعامل وبحسين مروّة ليس إلا من باب استهداف حزب الله. وهذه مثل تذكّر عائلة الجميل وشمعون والحريري حركة «جمّول» في محاولة لإبرازها كبديل (غير موجود، طبعاً) للمقاومة التي هزمت إسرائيل بالفعل. وحازم صاغية يتذكر فجأة هذا الأسبوع — في جريدة محمد بن سلمان، «الشرق الأوسط»، أن ياسين الحافظ حذّر من أن تتحوّل مقارعة الاستعمار إلى إبادة الحضارة. وبهذا تصبح جثّة ياسين الحافظ أداة هي الأخرى بيد إعلام محمد بن سلمان.

يصل بريننان إلى علاقة سعيد بدومينيك إيد. والموضوع هذا محرج لي، لأنه يتعلّق بشأن شخصي في حياة سعيد، ويجب أن لا يعني أياً منّا، لكن بريننان تطرّق إليه، كما أن إيد نشرت كتاباً بالفرنسية عن علاقتها بسعيد، ولم تكن الإشارات فيه روائيّة كما أرادت أن توحي، من دون أن تريد أن توحي كثيراً. يقول بريننان إن سعيد التقاها في عام 1979، وإن سعيد أقام معها علاقة عابرة، لكن العلاقة تجدّدت في عام 1995 بعد توقف طويل، وإن شقاقاً حدث بعد بضع سنوات، بعد أن استعملت أسم إدوار سعيد في عريضة لم يوافق سعيد عليها. هذا كل ما يرد في كتاب بريننان. من الطبيعي أن يريد بريننان، الذي اعتمد على تعاون عائلة سعيد، أن يقلّل من أهمية العلاقة، وهي ملك للراحل ولإيدة. وعندما تقرأ كتاب إيد عن سعيد «إدوار سعيد: فكره كرواية»، تجد فيه اقتباساً شخصيّاً من سعيد، أكثر من أي شيء آخر. سعيد في كتاب إيد شخص غير جذّاب بالمرة، بل هو غارق في لجّة نفسه لا يلتفت إلى أحد. لكن كانت للرجل لفتات شخصية وإنسانية، عرفتُها شخصياً. قد تكون لإدة أسبابها الشخصيّة للاقتصاص من سعيد — والأسباب الشخصيّة لا تعنينا — لكن إدة شوّهت صورة سعيد بشكل فظيع، واستخدمته بطريقة مغايرة لمقاصد سعيد وفكره وتوجّهاته. كتاب إدة ينضح باستشراق — يا للمفارقة — مبتذل وتعميمات مهينة عن الإسلام والمسلمين. هو كتاب يعكس الليبرالية الفرنسيّة الاسلاموفوبيّة. حتى عن فلسطين، يطغى على موقفها من الصراع عداؤها لما هو إسلامي. تقول إدة عن سعيد أنه كان «نقدياً بحدّة» للوهابيّة، لكنها تقول عن نفسها إنها كانت متشائمة بشأن احتمالات «غزو» الإسلام للحلبة (ماذا عن غزو المسيحيّة أو اليهوديّة لـ«الحلبة السياسيّة»؟) السياسية. لا تتورّع إدة عن الحديث عن «الجنون الإسلاموي الذي يكسب العقول الآن في كل العالم».

وإدة تريد من سعيد أن يكون، في ماضيه، أكثر اهتماماً بالنصوص القرآنيّة التي تقلقها والتي تريد إصلاح نصوصها، على طريقة عتاة الاسلاموفوبيّين. وتتساءل لو أن سعيد كان سيوافقها على ان «أقساماً من جسم العالم الإسلامي مصابة بمرض عضال». سأسمح لنفسي بالإجابة عن سعيد بالقول: لا، سعيد لا يمكن له أن يوافق على هذه التنميطات المتعصبة ضد الإسلام والمسلمين. هو كرّس سنوات من حياته لمحاربة وتفنيد ودحض الكراهية الغربية ضد العرب والمسلمين. أجدى لو أن إدة احترمت سعيد ولم تقحمه في معاركها السياسية أو الشخصية على حد سواء. وتريد أن تتم هناك إعادة تفسير لآيات قرآنية تقول إنها تتحدّث عن «الكفاح المسلّح». وتزيد في تحليل يندر حتى عند بعض الغربيّين أن من الهراء الزعم ان داعش لا تمتّ بصلة إلى الإسلام، أو أن الإسلام يرى نفسه في داعش — لاحظوا ولاحظن أن حديثها عن الإسلام هو الحديث نفسه الذي فنّده ودحضه سعيد في كتاباته. الإسلام عندها شيء ثابت لا يتغيّر، أو هو المصطلح المحكي عند المتعصّبين في تاريخ لبنان عندما يشيرون إلى المسلمين بـ«الإسلام». وتضيف إدة أن القرآن «يأمر ويهدّد، وأن المنع متكرّر». هل قرأت إدة الكتاب المقدّس؟ ثم تزيد إده من عندها استنكاراً لـ«الحملة الصليبيّة ضد البيض». من ينشّ هذه الحملة ضد البيض؟ هنا تقترب إده من خطاب العنصريّين البيض في فرنسا ودول الغرب. من غير إدة يرى أن هناك حملة ضد البيض المساكين، وهم يحكمون العالم ويشنون الحروب ضدنا؟ هذا خطاب العنصرية الأبيض في الغرب، هو خطاب اليمين الجديد.

وبالنسبة إلى فلسطين، لا يمكن لإدة إلا أن تضع موقفها في موازاة صديقتها الاسرائيليّة، إيلوا. هذا مثل الذي يرفض أن يقبل إنسانية العرب من دون أن يكون الفرد العربي مصاحباً لاسرائيلي. أي إن الإسرائيلي ضروري للعرب كي يكمل إنسانيّته. هذه مثل صيغة وردت في أحد كتب إلياس خوري على أن العربي عندما يقتل إسرائيليّاً فإنه يقتل نفسه. وتذكّرنا إدة بصداقة سعيد مع دانيال باريننباوم. وفي كل إشاراتها إلى فلسطين، توازي إدة بين معاناة الشعب الفلسطيني والاسرائيليّين وهي تضع المسؤوليّة على الشعبيْن معاً — المحتل والمطرود من أرضه — كي يجترحا حلاً للمشكلة، كأننا نتحدّث عن اختراع مصل لمعالجة مرض ما. تريد من الشعبيْن التوصّل إلى حل تقدمي لعكس حالة الصراع و«إطلاق حركة في المنطقة». يذكّر كلامها هنا بكتابات شمعون بيريز في التسعينات، وتلك الكتابات كانت تلقى تدويراً في جريدة خالد بن سلطان، «الحياة». لا، تؤمن دومينيك إدة بالعنصريّة ضد الشعب العربي، والشعب الفلسطيني خاصة. بوقاحة قلّ إصدارها من قبل عربي، تقول إدة إنه يجب أن تُحصر الوزارات «الحساسة» في الدولة المشتركة العتيدة (بين العرب والاسرائيليّين) باليهود فقط، مثل وزارة الأمن الداخلي والدفاع، وذلك من أجل «جعلهم يشعرون بالأمان في وجه توسّع ديموغرافي إسلامي». من يتصوّر كيف كان إدوار سعيد سيتعامل مع هذا الكلام العنصري الذي يجتزّ فكرة الغرب

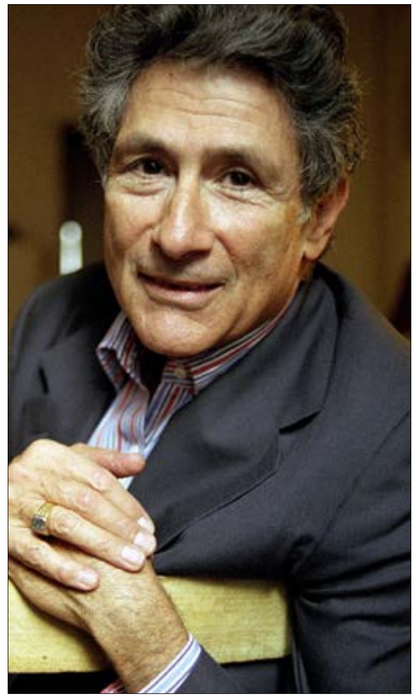
إدوار سعيد

صادق جلال العظم

أن شعباً واحداً فقط يستحق الأمن والآخر يستحق — على طريقة وعد بلفور — فقط الحقوق البدائية؟

وتتطرّق إدة إلى خلافها مع سعيد عندما استعملت اسم إدوار سعيد في بيان كتبه مثقفون وكتاب لبنانيّون وفلسطينيّون ليبراليّون لمنع مؤتمر كان يُفترض أن يعقد في بيروت في 2001، ويضمّ معادين للسامية ويُكرَّس لـ«المراجعة»، وهي المصطلح الذي يستعمله ناكرو المحرقة. طبعاً، إن عقد هذا مؤتمر يشكّل في حدّ ذاته ليس فقط إهانة للتاريخ وحقائقه، بل هو يقدّم أيضاً خدمة مجانيّة للدعاية الصهيونيّة. والبيان في حينه طالب بالمنع، ونجح المثقّفون في الحصول على موافقة راعي الثقافة والمثقّفين، رفيق الحريري (الذي قال إن مرّة في مقابلة إنه يعتبر نفسه مثقّفاً) لمنع المؤتمر. جميل أن نتذكّر أن المثقّفين المذكورين توجّهوا إلى رفيق الحريري لإصدار المنع. وثار سعيد على استعمال اسمه في البيان الذي كتبته دومينيك إدة ووقّعته الثلة المعهودة من الليبراليّين. وكشفت إدة أن جاك شيراك اتصل برفيق الحريري المطبع، ما أدّى إلى منع المؤتمر (ظنّ المثقّفون في حينه أن الحريري اقتنع بصوابيّة رأيهم، والحريري يميل إلى المنع وهو كان يريد أن يمنع أي برنامج إخباري ينتقد النظام السعودي). طبعاً، هناك مؤتمرات كانت تُعقد — ولا تزال — في الجامعات اللبنانيّة، وهي تنكر المأساة الفلسطينيّة وتنال من حق مقاومة إسرائيل، وبعضُها يشكّك في النكبة ولا تصدر بيانات المنع والحظر من مثقّفي الحرية والإنسانيّة. لكن هذا معروف: إنّ هؤلاء المثقّفين يستبطنون معايير الغرب العنصريّة: وإن معاداة اليهوديّة هي أفظع عندهم من معاداة الإسلام أو المسيحيّة، وإن إهانة الموساد والمخابرات الأميركيّة. يمكن العودة مثلاً إلى كتاب صادق جلال العظم «زيارة السادات وبؤس السلام العادل». والرسالة اللئيمة التي انتدكرها بين الأطراف المعنيّين هي تلك التي كتبها سعيد، في منتصف الثمانينيات، والتي قطع فيها العلاقة بينهما. والعظم، كما يذكّر بريننان في كتابه، اتهم سعيد بالعمل لصالح المخابرات الأميركيّة.

ويتطرّق بريننان إلى ترجمة «الاستشراق» إلى العربيّة. والغريب أنه بالرغم من عدم معرفته بشؤون الشرق الأوسط وبلغاته، فإنه يُفتي بأن ترجمة كمال ابو ديب هي رديئة. وهي بالفعل رديئة. ومرة في مؤتمر في جامعة «ونسور» في كندا عن أعمال إدوار سعيد (وهو حضره بالرغم من تقدّم مرضه) فقد قرأتُ على سعيد بعض مقاطع من ترجمة كمال أبو ديب كي أؤكد له أن الترجمة غير صالحة على الإطلاق، ووافق على ذلك في المقاطع التي ابرزتها له. الكتاب بحاجة إلى ترجمة جديدة، لكن بلغة تكون مفهومة للقارئ العادي — وترجمة فواز طرابلسي لمذكرات سعيد هي ترجمة سلسة وأمينة. وسعيد كتب «الاستشراق» من دون تكلّف لغوي أو استعلاء نظري، بل هو جعل النص في متناول تلاميذ الجامعات، وهذا أحد أسباب نجاح الكتاب، واستعماله في صفوف مختلفة.

ويذكر بريننان عرضاً أن سعيد، الذي تأثر كثيراً بكتاب جورج لوكاش «التاريخ والوعي الطبقي» (كان رفيقنا جورج جدع دائم التشديد على ضرورة قراءته في سنوات النضال المبكّر)، كان محبطاً من عدم وجود ترجمة عربيّة للكتاب. لكن هذا غير صحيح، وطبعاً بريننان لا يمكنه أن يعلم ذلك. إن أول طبعة للكتاب ظهرت في بيروت في السبعينيّات من القرن الماضي. ويتطرّق بريننان إلى صداقة سعيد مع الصحافي الأميركي اليساري، الكسندر كوبرن، الذي فيما بعد أصدر مجلة «كونتر بنش» اليساريّة المتطرّفة. كان كوبرن يكتب في جريدة «فيليج فويس» الليبراليّة في نيويورك، وكانت مقالاته مغايرة للنمط السائد في التمنّع عن نقد الصهيونيّة وإسرائيل. ثم انتهت علاقته بالجريدة عندما قبل قرضاً بحثيّاً من مؤسسة قريبة من «جمعية خريجي الجامعات العربيّة-الأميركيّة»، والتي كان سعيد وثيق الصلة بها. لكن كوبرن كتب بعد ذلك في مجلة «ذا نيشن» اليسارية، وكان عموده مقروءاً، مثل عمود صديقه انذاك — وصديق سعيد — كريستوفر هيتشنز. وخلافاً لهيتشنز الذي تحوّل نحو اليمين والرجعية (وهو ناصر حرب بوش في الشرق الأوسط) فإن كوبرن ثبت على مواقفه حتى وفاته المبكرة.

ويتطرّق بريننان إلى دور سعيد خلال الحرب الباردة وقوله إن سعيد أعلن مرة أمام صديق له أنه حرص على عدم توجيه نقد علني للاتحاد السوفياتي في سنوات الحرب الباردة، لأن «السوفيات لم يفعلوا أي شيء لإيذائي، أو إيذائنا». لم يكن سعيد شيوعياً منتظماً، لكنه كان متعاطفاً مع الماركسيّة، مع أنه لم يكن يرى صوابية أو جدوى الماركسيّة خارج الغرب الذي وُلدت فيه. ويقول سعيد إنه لم يرَ ترجمة مقبولة للأدب الماركسي. لكن هذا غير صحيح، هناك ترجمات حديثة صدرت، كما أن «دار التقدم» السوفياتية التي انعمت علينا بترجمات مجانيّة أو شبه مجانية للتراث الماركسي، لم تحتكر نشر الترجمات الماركسيّة (كانت ترجمات «دار التقدم» رديئة للغاية، وكنتُ أعتقد انها ترجمات عربية عن ترجمات روسيّة). وقد نشر العفيف الأخضر في منتصف السبعينيّات ترجمة لـ«البيان الشيوعي»، وزها بأنها أول ترجمة غير مزّورة، لكنها كانت عن الفرنسيّة لا عن الألمانيّة. لكن هناك جهداً في إعادة ترجمات الآداب والعلوم: هناك ترجمة جديدة لكتاب «فينومينولوجيا الروح» لهيغل، الصادر عن المنظمة العربيّة للترجمة. والأدب الروسي لا يزال منشوراً بترجمات سامي الدروبي الذي اعتمد النص الفرنسي المترجم عن الروسية. لكن هل ان صعوبة انتشار الماركسية في العالم العربي كانت بسبب سوء الترجمة أم لأنه كانت هناك مشاكل ذاتيّة وموضوعيّة جمّة مثل: 1) ارتهان الشيوعية العربيّة للاتحاد السوفياتي حتى في موضوع تقسيم فلسطين. 2) معارضة أهم مشروع وحدوي في العالم العربي المعاصر، أي «الجمهورية العربيّة المتحدة». 3) الفساد والخلافات في صفوف الأحزاب الشيوعية وتخلّفها عن فهم مركزيّة القضيّة الفلسطينيّة. 4) محاربة المعسكر الغربي والخليج لكل ظواهر الشيوعية والاشتراكية العربيّة. لقد عانى الشيوعيون العرب من محاربة وحشيّة من قبل أنظمة عربيّة متنوّعة الأيديولوجيّات. 5) فاقم في مشاكل الشيوعية العربية أن ارتهانها الآلي لموسكو أدّى إلى انهيارها بالكامل بعد سقوط الاتحاد السوفياتي. 6) التحوّل الرهيب الذي أصاب قيادات الشيوعية العربية، وكان لكثيرين منها تاريخ في التحوّل من اليسار إلى اليمين. ترجمة الأدبيّات الماركسيّة لم تكن إلا مشكلة بسيطة بالمقارنة. والمفارقة أن العظم عاب على سعيد أن ماركسيته كانت «تجميليّة» أو شكلية، فيما ان مشروع سعيد، بالمقارنة مع التحوّل الهائل الذي أصاب مسيرة العظم السياسية، كان مشروعاً راديكاليّاً تزداد أهميته على مرّ السنين. سعيد مات على عقيدة مقارعة الامبريالية والصهيونيّة، فيما كان العظم في آخر سنواته من دعاة الحل السلمي للصراع مع إسرائيل، ومن مؤيّدي التدخل العسكري الغربي في سوريا. تقارن بين مسيرة الرجلين، وبين إرثيهما، وتزداد اقتناعاً بأن سعيد ظُلم أيّما ظلم من قبل اليسار العربي — هذا من دون تبنّي كل مواقف الرجل، خصوصاً في مسألة التطبيع وخلافه.

(يتبع)

* كاتب عربي - حسابه على تويتر @asadabukhalil



# سيناريو الفوضى والخراب!

**سعد الله مزرعاني ***

يتّهم الغرب، وعلى رأسه واشنطن (آخر مثال سفيرة فرنسا بعد رئيسها ماكرون)، قوى السلطة اللبنانية بالفساد والنهب. لكن المفارقة أن ممثليه يبحثون عن أسباب الانهيار الكوارثي المتمادي خارج مسؤوليّة هذه القوى، وخصوصاً، خارج مسؤولية فشل نظامها السياسي الاقتصادي الاجتماعي التابع والمتخلف!

ما يردّده الإعلام الموجّه من قِبل الأميركيين والصهاينة ومتابعيهم لجهة أن سلاح المقاومة هو المسؤول عما يعانيه اللبنانيون اليوم من كوارث وانهيارات، هو صحيح، جزئياً، بمقدار ما انعكست وتنعكس فيه مفاعيل المشروع الذي روّج له، بشكل صاخب، الرئيس الأميركي السابق دونالد ترامب، كخطة أميركية صهيونية (بالأساس) سعودية، حملت اسم «صفقة القرن». الهدف كان ولا يزال، في لبنان، تعطيل دور المقاومة فيه، وبالتالي، في سواه من ساحات الصراع مع مشاريع وسياسات واشنطن وتل أبيب وحلفائهما في الخليج، بالدرجة الأولى. وهي مشاريع تتكرر بصيغ جديدة وبهدف واحد: تصفية قضية وحقوق الشعب الفلسطيني والهيمنة على «الشرق الأوسط الكبير» بكامل ثرواته وعلاقاته ومصائره.

تعذّر تعطيلُ المقاومة بقوة العدوان والآلة الحربية الصهيونية المدعومة من واشنطن (خصوصاً عام 2006). فكانت الاستدارة نحو وسائل أخرى، بدت أنجع وأفعل. أبرز هذه الوسائل كان الحقل الاقتصادي الذي هو، بالضرورة، وبفعل قرون السيطرة الاستعمارية على البلدان النامية والتابعة، حقل مآزوم. عدة الشغل باتت، بالإمكانيات والخبرة، جاهزة ومحدودة التكلفة نسبياً. من ذلك تشجيع وإدارة الفساد والنهب والهدر والمديونية وعدم المحاسبة... بعيداً عن خطط ومشاريع التنمية والإنتاج وشروطهما في الداخل ومع الخارج... في مجرى ذلك تتم إشادة الأساس الصلب للتدهور الاقتصادي والتفاوت الاجتماعي والتآزم الشامل والمتدحرج الذي وجد في «خصوصيات» النظام السياسي اللبناني عبر صيغة «الكوتا» الطائفية التحاصصية، المانعة لبناء دولة قانون ومؤسسات موحدة وحصينة، خير شريك في تعظيم الأزمة وفي دفعها نحو الاستعصاء، فالتفجر! يثير اندلاع الأزمة، وبسببها، النقمة والاحتجاجات. ثم يكون السعي لاستغلالها: فرضاً لتوجهات سياسية أو اقتصادية أو الاثنتين معاً. يُستحضر لهذا الغرض، وحسب الاستجابة أو عدمها، ما في الجعبة من وسائل الإخضاع بذريعة «الإصلاح». والإصلاح المزعوم هذا ليس سوى تطبيق شروط صندوق النقد والبنك الدوليين اللذين تديرهما واشنطن.

لقد بلغ الأمر في لبنان وبسبب تداخل الفساد مع السياسات والصراعات والبنية السياسية والاقتصادية، وكذلك بسبب أولوية استهداف المقاومة، مستوى غير مسبوق لجهة تسريع الانهيار وتعطيل المؤسسات الدستورية ونزع الشرعية عنها وإقامة «تحالفات» مع مؤسسات أمنية خلافاً للأعراف الدبلوماسية وعلى حساب السيادة. هذا فضلاً عن إغداق المليارات على قوى وشخصيات مدنية لإحداث تحول في الرأي العام وفي التوازنات الداخلية... ولم يسلم حقل من حقول النشاط السياسي أو الاجتماعي أو الأمني أو الإعلامي... دون محاولة زجّه في معركة «تشويه صورة المقاومة» كما قال السفير الأميركي الأسبق في لبنان فيلتمان الذي اعترف مباشرة بإنفاق 500 مليون دولار أميركي لهذا الهدف «النبيل» قبيل وبعد عدوان تموز 2006!

لا بأس في التذكير بأن المعركة ضد المقاومة في لبنان والتي تحولت إلى معركة ضد الشعب اللبناني نفسه، كانت حلقة في مسار تضمن: الاعتراف بالقدس عاصمة موحّدة لدولة الاغتصاب، الاعتراف الأميركي بيهودية الدولة، الاعتراف بحق إسرائيل في ضمّ الجولان (وكل ذلك وفق معادلة: «أعطي من لا يملك لمن لا يستحق»). إلى فرض التطبيع مع العدو، على دول خليجية، وعلى حكام السودان الجدد وسواهم خلافاً لمصالح الشعب السوداني وتنكّراً لثورته المجيدة المصادَرة.

في القوائم والمجريات والتقديرات، إن واشنطن، وبدون التقليل من أهمية إزاحة ترامب عن ناصية القرار في البيت الأبيض، واستناداً إلى ثوابت السياسة الأميركية الراسخة رغم تبدل العهود، تواصل حالياً سياساتها التي باشرتها منذ سنوات: تكثيف الضغوط السياسية والاقتصادية وسلاح العقوبات والمقاطعة والحصار ونزع الشرعية واستكشاف فُرص فرض وصاية على لبنان. تعمل إدارة بايدن بصخب أقل ولكن، ربما بفعالية أكبر. من ذلك الاجتماع الثلاثي لوزراء خارجية أميركا وفرنسا والسعودية في إيطاليا ودعوة سفيرتي واشنطن وباريس في لبنان، إلى اجتماع غير مسبوق في السعودية. ليس لتنسيق المساعدات كما يوهم أو يتوهم البعض، بل للتنسيق في رفع وتيرة الضغوط تحقيقاً للهدف المعلّن دائماً وهو تعطيل المقاومة مهما كان الثمن! دعوة السفيرتين إلى الرياض هي «فاول» جديد يذكّر برفض ممثلي واشنطن اللقاء مع ممثلي مؤسسات الدولة الشرعية، ثم إعلان مسؤولين كبار فيها «التحالف» مع مؤسسة الجيش اللبناني والتباهي بتقديم مساعدات سخية وشاملة له: التدريب والتجهيز للدعم المالي المباشر أو غير المباشر (عبر الحلفاء والأدوات وآخرهم الوزير القطري!). وكانت واشنطن قد ارتكبت «فاولاً» آخر حين خرقت حصارها على السلطة من أجل تشجيع المفاوضات غير المباشرة مع العدو الصهيوني أملاً في توسيع وتعزيز مناخ التطبيع الذي ترعاه على مستوى المنطقة. لكن حين فشلت المفاوضات في تحقيق الهدف الأميركي الصهيوني جرى تجميدها مع مواصلة الضغوط للمشار إليها آنفاً وفي خدمة الهدف نفسه أي تعطيل المقاومة، ولو أدى الأمر إلى تدمير لبنان بشكل كامل أو «زواله» كما حذّر وزير خارجية فرنسا بكل صراحة ووقاحة!

سيناريو الإجرام الذي وفرت له القوى المتحكمة كل عناصر النجاح عبر إفلاس البلد بالنهب والهدر والفساد والتبعية (وبرعاية واشنطن المباشرة من خلال «أفضل حاكم بنك مركزي في العالم») يواصل استثماره في الأزمة اللبنانية عبر تعميقها ودفعها إلى حدود الفوضى الكاملة التي يأمل، مع الصهاينة، أن تحقق أحلامهما في الانتقام من هزائمهما في لبنان غير المسبوقة في المنطقة. وليس صحيحاً، في هذا الصدد، كل ما يتحدث عنه البعض من تسوية قادمة في مفاوضات فيينا لأن الصهاينة، بما يراودهم من مطامع وما يستشعرونه من الفرص المؤاتية بسبب التشرذم والضعف العربيين، لن يتراجعوا طالما أنهم هم من يرسمون سياسة واشنطن في المنطقة! في الأثناء، ثمة خطة أخرى تبرز في الموازاة. هي تقوم على محاولة بلورة بديل أمني مدني إرهابي لقطف الثمار في الوقت المناسب. في هذا النطاق تشكل الانتخابات النيابية في حال حصولها أو عدم حصولها، ومهما كانت النتائج، منعطفاً نحو تغيير يرغب أصحاب مخطط الإجرام أن يكون حاسماً وشاملاً لإغراق المقاومة ولبنان في الفتن والاحتراب والدماء والانقسامات تمهيداً للتدخل الأجنبي بذريعة المساعدة أو الحماية على غرار ما يعرضه القادة الصهاينة اليوم من استعداد لدعم لبنان في حل أزمته الاقتصادية!

لا يجابه هذا المخطط الإجرامي بالأساليب السابقة بالتأكيد! هذا كلام برسم كل القوى المستهدفة وخصوصاً برسم قوى التحرر الوطني والتغيير الإصلاحي الفعلي.

* كاتب وسياسي لبناني

الأخبار
al-akhbar
■ رئيس التحرير - المدير المسؤول: ابراهيم الأمين
■ نائب رئيس التحرير: بيار أبي صعب
■ مدير التحرير: وفيق قانصوه
■ مجلس التحرير: حسن عليق، إيلي حنا، أمل الأتحري
■ صادرة عن شركة أخبار بيروت
■ المكاتب: بيروت - فردان - شارع دونان - سنتر كونكورد - الطابق الثامن
■ للمكاتب: 01759500، 01759597
■ ص.ب 113/5963
■ الإعلانات: الوكيل الحصري ads@al-akhbar.com 01/759500
■ التوزيع: شركة الأوائل 15-6663141 - 01 / 03 / 828381
■ الموقع الالكتروني www.al-akhbar.com
■ صفحات التواصل /AlakhbarNews @AlakhbarNews /alakhbarnews-paper

على الغلاف

# غزة تحاصِر حصارها: نحبّ الحياة غداً

أكثر من خمسة عشر عاماً مرّت على فرض الحصار الإسرائيلي على قطاع غزة. سنواتٌ عجاف كانت كفيلة بدفع مستوى الحياة في القطاع إلى الدرَك الأسفل، حتى باتت هذه البقعة التي تُعدّ من أكثر المناطق كثافة سكّانية في العالم، أشبه بسجن كبير يضيق بأهله. كان المُراد من سياسات التجويع تلك تدفيع الغزّيين ثمن خيارهم السياسي في عام 2006، ووضعهم وجهاً لوجه المقاومة التي قرّروا، في أوضح «ممارسة ديموقراطية» بالمعايير الغربية، إيصال صوتها إلى المجلس التشريعي الفلسطيني. هكذا، سُدّت المنافذ على أكثر من مليوني فلسطيني، مُنعت عنهم التحويلات المالية، وقُيّد دخول المواد الغذائية اللّازمة للعيش إليهم، وجُفّفت مواردهم واحتياطاتهم، وحُظرت عليهم المواد الخام اللازمة لصناعاتهم، وقُوّضت بناهم التحتية ومؤسّساتهم كافّة. على رغم ذلك، لم يفلح المحاصِرون في سلخ المقاومة عن أهلها، مع أنهم نجحوا في إطلاق جولات توتير دورية تحت شعار «بدنا نعيش»، كان أبرزها عام 2014 عندما دُفعت حركة «حماس» إلى دائرة عنف تطلّبت معالجات طويلة لتداعياتها. بدت المقاومة، مذّاك، في وضع لا تُحسد عليه حقاً؛ إذ كان عليها الارتضاء بتفاهمات لا تُساوق طموحاتها، سعياً منها في سدّ أي فتحة يمكن أن يتسلّل منها «المصطادون» لإشعال الفتنة بينها وبين حاضنتها الشعبية. لكن ما بعد معركة «سيف القدس»، التي - للمفارقة - سَطّر المعجزاتِ فيها الشعبُ نفسه الذي ارتُكبت بحقّه هذه الجريمة المهولة المديدة، باتت المعادلة مختلفة تماماً. صحيح أن العدو لا يزال يحاول مساومة الغزّيين على لقمة عيشهم وأبسط حقوقهم الإنسانية، لكن ما كان يمكن القبول به سابقاً أضحى مستحيلاً هضمه اليوم. فالمقاومة أصبحت على درجة من القوة تُخوّلها هجْر معتقل «العطاءات الاقتصادية»، والالتفاف الشعبي حولها تجاوَز غزة إلى الضفة الغربية والقدس وحتى الداخل المحتلّ، فيما السلطة التي لا غَرْو في القول إنها كانت شريكاً في الحصار أمست في موقع ضعف يفرض عليها السعي لحماية وجودها أوّلاً، والعدوّ الذي أراد «إبقاء رأس الفلسطيني فوق الماء» غدا مجبَراً على رؤيته على سطح الأرض، يهدّد وينفّذ تهديداته ويُعلي سقف شروطه، بل ويبتدئ الحرب بنفسه.

(الأخبار)

# خدعة «بدنا نعيش» تتعطّل: وُجهة الغضب... إسرائيل

غزة - **يوسف فارس**

في منتصف آذار 2014، قارب المشهد في قطاع غزة الانفجار، بعدما خرج الآلاف من المواطنين إلى الشوارع في تظاهرات رفعت مطالب معيشية، كتوفير الكهرباء، ومعالجة الغلاء المعيشي، وتأمين حقّ السفر والمواطنة. كان من المفهوم، بالنظر إلى طبيعة الشارع المؤطّر سياسياً، أن تُنهي حركة «فتح» بدعم الحراك الذي أطلق عليه «بدنا نعيش»، لكن ما لم يكن مُتوقّعاً هو أن تُواجَه التظاهرات بقسوة مديدة (على مدار خمسة أيام)، خلّفت نقمة شعبية على سلوك الأجهزة الأمنية، ومشاهد كثيرة لم يوفّر أعداء المقاومة فرصة الاستثمار فيها، بهدف توتير الشارع وتغذية حالة الصدام. وما ضاعف حالة النقمة، واستدعى لاحقاً معالجات اجتماعية امتدّت طويلاً، هو أن القمع لم يقتصر على الأشخاص الذين تولّوا مهمّة التحشيد فقط، بل شمل أيضاً صحافيين ومثقّفين وناشطين، اعتدت الأجهزة الأمنية بشكل عنيف عليهم.

في مراجعة لتلك الأحداث، بلغت أمني في غزة، تحدّثت إليه «الأخبار»، إلى أن «ما كان محرجاً هو أن المطالب التي خرج بها المتظاهرون مُحقّة، وهي بالضبط ما يطالب به حتى رجل الأمن»، مستدركاً بأن «الخصم السياسي للمقاومة، أي المخابرات في رام الله، ووفقاً للعشرات من الوثائق والمعلومات، لعبت دوراً مشبوهاً عبر ركوب موجة التظاهرات، ثمّ دعمها ومأسستها بشكل مباشر». ويستنتج المصدر («أننا») كُنّا بحاجة إلى هذا التدخّل الجراحي، ليس لأن هذا ما نُتقنه فقط، بل لأن المعطيات التي كانت تؤسّس لتمرّد الشارع وانتفاضته ضدّنا، مصدرها الضغط الذي صنعته حكومة رام الله عبر مسلسل العقوبات الاقتصادية وخصم أكثر من 30% من رواتب الموظفين وقطع رواتب الآلاف، والذي تزامن مع الحصار الإسرائيلي الذي اشتدّ كثيراً على القطاع». هل كان من الممكن أن تتّبعوا سلوكاً آخر في عملاً الموقف؟، نسأل، فيجيب: «نحن حاولنا منذ البداية عدم اللجوء إلى العنف، لكن في اليوم التالي من التظاهرات، بدا أن هناك عدّة تكتّلات عائلية فتحاوية تتولّى مهمّة توجيه دفّة الحدث، فضلاً عن أن الحشد الذي تحقّق في اليوم الأول تلاشى إلى حدّ كبير في اليوم الثاني، وكانت الحالة أشبه بشغب وليس أكثر».

> **تؤكّد المقاومة اليوم أن فكرة الصدام مع الشارع مرفوضة، وأنها لن تسمح بتكرارها لاحقاً**

بالنسبة إلى الشارع، فإن التعاطي الأمني مع الحدث لم يكن مُوفّقاً ولا مقبولاً، الأمر الذي دفع مكاتب «الحاضنة الشعبية» التي كان يقودها يحيى السنوار (رئيس حركة «حماس» في غزة حالياً)، إلى إطلاق سلسلة معالجات عاجلة للحالات التي انتهكت فيها الأجهزة الأمنية حُرُمات المواطنين. وفي هذا الإطار، يقول مصدر في «الحاضنة الشعبية» لـ«الأخبار»: «كانت أحداث 2014 أكبر التحدّيات التي واجهتها المقاومة وحركة حماس، خصوصاً أن المقاومة كفكرة تنتهي بدون وجود حاضنة شعبية حقيقية لها، لذا كانت معالجة تبعات بدنا نعيش مُهمّة جدّاً». عقب تلك الأحداث، اتّسعت فكرة المواجهة مع الاحتلال، من الحروب العسكرية المباشرة، إلى حروب التجويع وتأليب الشارع ضدّ فكرة المقاومة وتكلفتها. ولذا، لم تضع «حماس» أيّ «فيتوات» على خيارات تخفيف وطأة الحصار، إذ أضحت المطالبة بأن تدفع قطر، بموافقة إسرائيلية، ثمن الهدوء على الشريط الحدودي للقطاع، تتمّ بوضوح شديد، فيما لم تُخفِ «حماس» خريطة تحالفاتها مع أطراف كانت تربطها بهم علاقة عدائية، من مِثل النائب المفصول من حركة «فتح» محمد دحلان، الذي أُعطيت له مساحة واسعة للعمل التنظيمي في القطاع، في مقابل تقديم مساعدات عينية ونقدية لشريحة واسعة من السكّان.

اليوم، تؤكّد المقاومة أن فكرة الصدام مع الشارع مرفوضة، وأنها لن تسمح بتكرارها لاحقاً، خصوصاً مع اقتناعها بأن المسوّغات الأمنية التي ستنطلق منها مهمّة مواجهة التظاهرات لن تكون مقبولة شعبياً، لأن رواية الأمن مشروخة دائماً، بالنسبة إلى الشارع. هنا، يجزم مصدر «حمساوي» بأن «تبعات الحصار سترتدّ على مَن سبّبوها، وأن تشديده ستقابله انتفاضة شعبية، ولكن ليس في شوارع القطاع، بل على حدوده، في وجه العدو الإسرائيلي».

لم تضع «حماس» أيّ «فيتوات» على خيارات تخفيف وطأة الحصار (أ ف ب)

# مصر ليست بديلاً: غزة جزء من فلسطين

غزة - **رجب المدهون**

على مدار 15 عاماً، حاولت دولة الاحتلال دفْع قطاع غزة إلى الارتماء في الحضن المصري، سياسياً واقتصادياً وإنسانياً، وذلك بهدف التخلّص من تبعات كونها قوّة احتلال مسؤولة عن الوضع الإنساني في القطاع. لكن الفلسطينيين ظلّوا يتعاملون مع هذا الخيار بحذر شديد. صحيح أنهم اتّخذوا من الحدود المصرية، منذ بداية الحصار، متنفّساً في مواجهة الإغلاق الإسرائيلي الشامل، من خلال تهريب البضائع ومشتقّات البترول وغيرها من المستلزمات عبر الأنفاق الأرضية التي استمرّت في العمل حتى العام 2014، عندما عمد الجيش المصري إلى هدمها، إلّا أنهم حرصوا على بقاء الدور المصري عاملاً مساعداً لهم وليس رئيساً، واستمرّوا في الاعتماد على إدخال البضائع عبر المعابر مع دولة الاحتلال، كي لا يسمحوا للأخير بالتهرّب من مسؤولياته أو بفصل غزة عن الضفة المحتلة، والذي كان سينعكس سلباً على القطاع من الناحية الاقتصادية، بالنظر إلى أن الأخير يورّد إلى الضفة الملابس والأثاث والمنتجات الزراعية، ويستقبل منها منتجات الألبان وأشياء أخرى. كذلك، ثمّة دافع آخر وراء رفض فكرة الاعتماد على مصر كلّياً، يتمثّل في الخشية الفلسطينية من تغيّر الموقف المصري في أيّ لحظة، وإمكان ممارسة ضغط على المقاومة عبر البوّابة الاقتصادية، وابتزاز غزة لتقديم تنازلات لصالح العدو.

ومنذ تحسّن العلاقات «الحمساوية» - المصرية عام 2017، وسماح المصريين بإدخال البضائع بشكل رسمي إلى القطاع عبر بوّابة صلاح الدين في معبر رفح جنوب غزة، ظلّت حركة «حماس» على رفضها الاعتماد على المصريين بشكل كامل، إذ وجّهت الجهات المختصّة بإدخال البضائع بأن لا يزيد الاستيراد من المصريين على 30% من احتياجات القطاع، على الرغم من أن رفع قيمة البضائع سيزيد من حجم الضرائب التي ستجبيها الحكومة في غزة وبحسّن من الوضع الحكومي، بحسب مصدر «حمساوي» تحدّث إلى «الأخبار». وأشار المصدر إلى أن «الحركة تدرك جيداً أن الاحتلال يعمل بشكل دائم على رمي غزة في الحضن المصري، والتخلّص منها لتكون رهينة للقرار المصري، إلّا أن جميع محاولاته تمّ إفشالها، حتى في عزّ عمل الأنفاق عامَي 2011 و2012، فلم تتوقّف الحركة التجارية عن استخدام معابر الاحتلال، وخاصة في مختلف المواد التي يتمّ استيرادها إلى القطاع، وكانت المواد الأساسية تمرّ عبر الاحتلال، فيما يتركّز الاعتماد على مصر في مجال المحروقات والمواد التي يمنع العدو إدخالها بدعوى أنها مزدوجة الاستخدام، أي يمكن استخدامها من قِبَل المقاومة في التصنيع العسكري».

وفي أعقاب معركة «سيف القدس»، لم يوقف الاحتلال محاولاته الدفع بقطاع غزة بشكل كامل إلى الحضن المصري، عبر فرض حالة من الإغلاق الشامل، وإجبار الجهاز الحكومي على الاعتماد على الواردات من مصر، إلّا أن المصدر «الحمساوي» أكد أن ما يدخل عبر المعبر المصري لم يتعدّ حاجز 30% من احتياجات القطاع، وأن الأصناف التي تدخل من مصر معدودة ومحدودة. وبحسب معطيات اقتصادية حديثة، فإن نسبة البضائع التي تدخل غزة من مصر ارتفعت بعد معركة «سيف القدس» بنسبة 17% عمّا كانت عليه في السابق، إلّا أنها لا تتعدّى حالياً حاجز 23% من احتياجات القطاع، فيما لا يزال المصريون يمنعون دخول أصناف تصنّفها دولة العدو «ثنائية الاستخدام». وفي الإطار نفسه، أفاد مدير عام المعابر في وزارة الاقتصاد في غزة، رامي أبو الريش، بأن معبر رفح يعمل حالياً ثلاثة أيام أسبوعياً على الصعيد التجاري، لإدخال سلع غذائية وفواكه ودقيق ومواد أخرى. وقبيل معركة «سيف القدس»، كان القطاع يستقبل نحو 400 شاحنة من البضائع والسلع المتنوّعة عبر معبر كرم أبو سالم، بينما تشهد الحركة حالياً انخفاضاً هائلاً في عدد الشاحنات، إذ انخفضت الواردات عبره بنسبة 83% بحسب معطيات اقتصادية. وترى الجهات الاقتصادية في إغلاق الاحتلال لـ«كرم أبو سالم» مشكلة كبيرة جدّاً، لكونه سيؤثّر بشكل كبير على المساعدات الدولية التي تدخل غزة، وخاصة مع دول لا تنتمي بعلاقات جيّدة مع مصر أو لا تنق باليات إيصال المساعدات عبر المصريين.

لم يوقف الاحتلال محاولاته الدفع بقطاع غزة بشكله كامل إلى الحضن المصري (أ ف ب)

# سُعرات حرارية بالقطّارة: أبقوا رأس الفلسطيني فوق سطح الماء

منذ فازت حركة «حماس» في الانتخابات التشريعية الفلسطينية عام 2006، تعاملت إسرائيل مع قطاع غزة على أنه كيان معادٍ. حتى القيود التي أقرّها «بروتوكول باريس» على الاقتصاد الفلسطيني، تجاوزتها السياسات الإسرائيلية، لتفرض على القطاع أشكالاً متعدّدة ومتكاملة من الحصار، هدفت جميعها إلى إدخال المقاومة في حالة من الإشغال الدائم، تُغيّر عبرها الأولويات، من التحرير إلى كسر الحصار، ومن كسر الحصار إلى تحسين ظروفه. خمسة معابر اقتصادية كانت تربط غزة بالخارج، ويشكّل كلّ منها بوّابة لدخول نوع معيّن من البضائع والمواد الخام، أغلقتها إسرائيل بعد 29 كانون الثاني 2006، حيث آذن فوز المقاومة في الانتخابات آنذاك، بتغيّر النظم الاقتصادية في القطاع، من كونه جزءاً من أراضي السلطة المحكومة بـ«اتفاقية باريس» - التي تمثّل الشقّ الاقتصادي من «اتفاق أوسلو» الموقّع عام 1994 - إلى كونه محكوماً من أوّل حكومة مقاومة شكّلتها حركة «حماس». هكذا، أُبقي فقط على معبر كرم أبو سالم، غير المؤهّل لاستقبال حاجات القطاع التجارية والاقتصادية، وفي إطار حالة الطوارئ الأمنية» فقط، فيما كان تجريف البنى التحتية الاقتصادية لمعابر «كارني» و«صوفا»، «ناحل عوز»، «نتسانا»، «كوسفيم»، «إيرز»، في عام 2007، رسالة إسرائيلية واضحة بأن ما هو قادم مغاير لما مضى.

في أعقاب ذلك، اتّخذ الحصار أشكالاً متدرّجة ومدروسة، بدءاً من تخفيف حالة الاكتناز المالي للسكّان والمؤسّسات الرسمية والفصائل، عبر مسارَين اثنين، تمثّل المسار الأوّل في وقف حركة التحويلات المالية من الخارج إلى القطاع بشكل تدريجي، من خلال فرض قيود مشدّدة على الحوالات المالية، البنكية منها والمصرفية، والتي يأتي جزء منها عبر البنوك الرسمية، وآخر عبر خدمات نقل الأموال (ويسترن يونيون، مني جرام، إكسبرس مني). وعلى خطّ موازٍ، وتحديداً في عامَي 2007 و2008، تمّ تقييد دخول البضائع إلى غزة، ضمن ما عُرف حينها بـ«سياسة احتساب السعرات الحرارية»، بمعنى أن إسرائيل كانت تحسب ما يحتاجه سكّان القطاع من سعرات حرارية بشكل يومي لكي يبقوا على قيد الحياة، وتُدخل بناءً عليه قدراً محدوداً من السلع الأساسية (اللحوم، اللبن، السكر، البقوليات، اللحوم، الفواكه)، وهو ما أدّى إلى ارتفاع الأسعار بشكل كبير، وفقدان معظم السلع، بحيث إنّك حتى لو كنت تملك سيولة مالية كبيرة، ستدخل المحلّات التجارية لتجد الأرفف فارغة من كلّ شيء.

مع اشتداد الحصار على القطاع، فُتحت الحدود المصرية في كانون الثاني 2008. وقد أحصت الأمم المتحدة، آنذاك، عبور مليون ونصف مليون إنسان، الحدود إلى مناطق سيناء، بهدف شراء المؤن والبضائع. وعلى نحو غير مدروس، أنفق سكّان القطاع، في التاريخ المذكور، قرابة مليارَي دولار بهدف توفير حاجاتهم المعيشية التي حُرموا منها لسنوات. ويُقدّر خبراء اقتصاديون أن تلك الواقعة ليست بريئة تماماً، إذ كان الهدف على ما يبدو تفريغ غزة من الاحتياطات المالية التي يكتنزها السكّان. وبعد عشرين يوماً من التواصل الاقتصادي الطارئ مع مصر، أغلقت القاهرة حدودها من جديد، فيما بدأت إسرائيل حينها مسلسلاً جديداً من الحصار، مع سماحها بدخول البضائع إلى القطاع على نحو شبه طبيعي، في مقابل تشديد قيودها على حركة نقل الأموال من الخارج. هنا، يوضح المصرفي محمد حرز الله أن الحوالات المالية كانت قبل 2008 غير محدودة بسقف، لكن بعد ذلك، قُيّدت بسقف 10 آلاف دولار للشخص الواحد، ثمّ خُفّضت إلى 5 آلاف، ثمّ إلى ألفي دولار، ووصلت اليوم إلى حدّ أن المواطنين في القطاع ممنوعون من تسَم حوالات مالية تتجاوز الـ1000 دولار، حتى بوجود صلة قرابة بين المرسل والمستقبل من الدرجة الأولى (أخ أو أخت أو زوجة). هذه السياسات حرمت عدداً كبيراً من العائلات التي تعتاش على الأموال التي يرسلها المغتربون، من مصادر عيشها، ناهيك عن أنها تسبّبت بعرقلة عمل المؤسّسات الخيرية الأهلية، وتلك التابعة لفصائل المقاومة، ما ساهم في إدخال مصطلحات جديدة لتوصيف حالة فئات صارت تشكّل نسبة كبيرة من المجتمع، مِن مِثل «الفقر المدقع، اللحوم، الفواكه»، وهو ما أدّى إلى ارتفاع الأسعار بشكل كبير، وفقدان معظم السلع، بحيث

ضربت إسرائيل اقتصاد غزة المحلّي الذي كان يشكّل واحداً من المصادر المالية للحكومة التي تديرها «حماس» في غزة، وأيضاً مصدر رزق للآلاف من العمال. إذ عرقلت دخول المواد الخام، في حين سمحت بتمرير صفقات تجارية كبيرة لمنتجات استهلاكية من الخارج، تنتجها مصانع القطاع بشكل وافر وبجودة مقبولة شعبياً، بالتوازي مع حرمان القطاع من تصدير فائض بضائعه إلى الخارج. كلّ ذلك ساهم في ترحيل أصحاب رؤوس الأموال إلى الخارج، وزيادة الإنفاق على المساعدات الإغاثية، ما أدّى تالياً إلى رفع مستوى البطالة إلى 80% من السكان. وبحسب الخبير الاقتصادي محمد أبو جياب، فقد تسبّبت تلك السياسات في تغيير نهج المانحين للقطاع، من التمويل التنموي الذي يساهم في صناعة واقع اقتصادي مستقرّ ومستدام عبر دعم المشاريع الإنتاجية، إلى التمويل الإغاثي. ويوضح أبو جياب، في حديثه إلى «الأخبار» أن «التمويل الإغاثي يُبقي الأزمة ويعالج تبعاتها، أي إذا أعطاك تستطيع أن تأكل وتعيش، وإذا تركك، تموت من الجوع، لأنك لا تمتلك القدرة على الاعتماد على ذاتك». ولم تتوقّف سياسات الحصار على منع دخول السلع والأموال إلى القطاع، إنما طاولت قطاعات خدمية مثل الكهرباء والمياه والوقود، حيث قصفت إسرائيل محطّة توليد الكهرباء الوحيدة (2006/06/28)، الأمر الذي انعكس على مختلف القطاعات الحيوية، من مِثل البنى التحتية والصرف الصحي وعمل المؤسّسات الحكومية الخدمية.

المحلّي الذي كان يشكّل واحداً من المصادر المالية للحكومة التي تديرها «حماس» في غزة، وأيضاً مصدر رزق للآلاف من العمال. إذ عرقلت دخول المواد الخام، في حين سمحت بتمرير صفقات تجارية كبيرة لمنتجات استهلاكية من الخارج، تنتجها مصانع القطاع بشكل وافر وبجودة مقبولة شعبياً، بالتوازي مع حرمان القطاع من تصدير فائض بضائعه إلى الخارج. كلّ ذلك ساهم في ترحيل أصحاب رؤوس الأموال إلى الخارج، وزيادة الإنفاق على المساعدات الإغاثية، ما أدّى تالياً إلى رفع مستوى البطالة إلى 80% من السكان. وبحسب الخبير الاقتصادي محمد أبو جياب، فقد تسبّبت تلك السياسات في تغيير نهج المانحين للقطاع، من التمويل التنموي الذي يساهم في صناعة واقع اقتصادي مستقرّ ومستدام عبر دعم المشاريع الإنتاجية، إلى التمويل الإغاثي. ويوضح أبو جياب، في حديثه إلى «الأخبار» أن «التمويل الإغاثي يُبقي الأزمة ويعالج تبعاتها، أي إذا أعطاك تستطيع أن تأكل وتعيش، وإذا تركك، تموت من الجوع، لأنك لا تمتلك القدرة على الاعتماد على ذاتك». ولم تتوقّف سياسات الحصار على منع دخول السلع والأموال إلى القطاع، إنما طاولت قطاعات خدمية مثل الكهرباء والمياه والوقود، حيث قصفت إسرائيل محطّة توليد الكهرباء الوحيدة (2006/06/28)، الأمر الذي انعكس على مختلف القطاعات الحيوية، من مِثل البنى التحتية والصرف الصحي وعمل شباب القطاع، الأمر الذي قد يدفعهم للانضمام إلى المجموعات الإرهابية التي تنشط في مناطق شبه جزيرة سيناء، ناهيك عن الخشية من حدوث انفجار سكّاني غير مضبوط باتّجاه الأراضي المصرية. أمّا من جهة الأوروبيين، فقد ساهم الحصار في تعزيز فرضيات تدفّق اللجوء غير المرغوب فيه إلى أراضيهم. كلّ ذلك أدّى إلى تبنّي إسرائيل سياسة أعلنها وزير الدفاع الإسرائيلي الأسبق، أفيغدور ليبرمان، فحواها: «أبقِ رأس الفلسطيني فوق سطح الماء»، بمعنى أن المحافظة على «عدوّ عاقل يمكن التفاهم معه»، أفضل من «تعدّد الأعداء» غير المضبوطين. سياسةٌ عكف الكيان العبري على الترويج لها عالمياً تحت ستار «مظلومية» مزعومة، مقابل «إرهاب» المقاومة التي تقصف دولة الاحتلال بالصواريخ، توازياً مع التسويق لحرص مدّعى على سكّان القطاع، عبر القول إن المعابر مفتوحة أمام البضائع وحركة الأشخاص. وفي مقابل تلك الأكاذيب، أغلق «المجتمع الدولي» عيونه عن كلّ سياسات الحصار المالي والاقتصادي، ولم يفعل أكثر من مطالبة إسرائيل بتخفيف حدّة إجراءاتها. أمّا ما بعد «سيف القدس»، فقد أخذ الحصار منحًى مغايراً، هدفه الرئيس تفريغ الإنجاز الفلسطيني من مضمونه، وكيّ الوعي الجمعي لحاضنة المقاومة، عبر تخويف ناسها من دفع أثمان من حقوقهم الحياتية، لقاء المشاركة في أيّ هَبّة ذات أهداف وطنية.

> **اتّخذ الحصار أشكالاً متعدّدة ومتكاملة هدفت جميعها إلى إدخال المقاومة في حالة من الإشغال الدائم**

يوسف...

على الغلاف

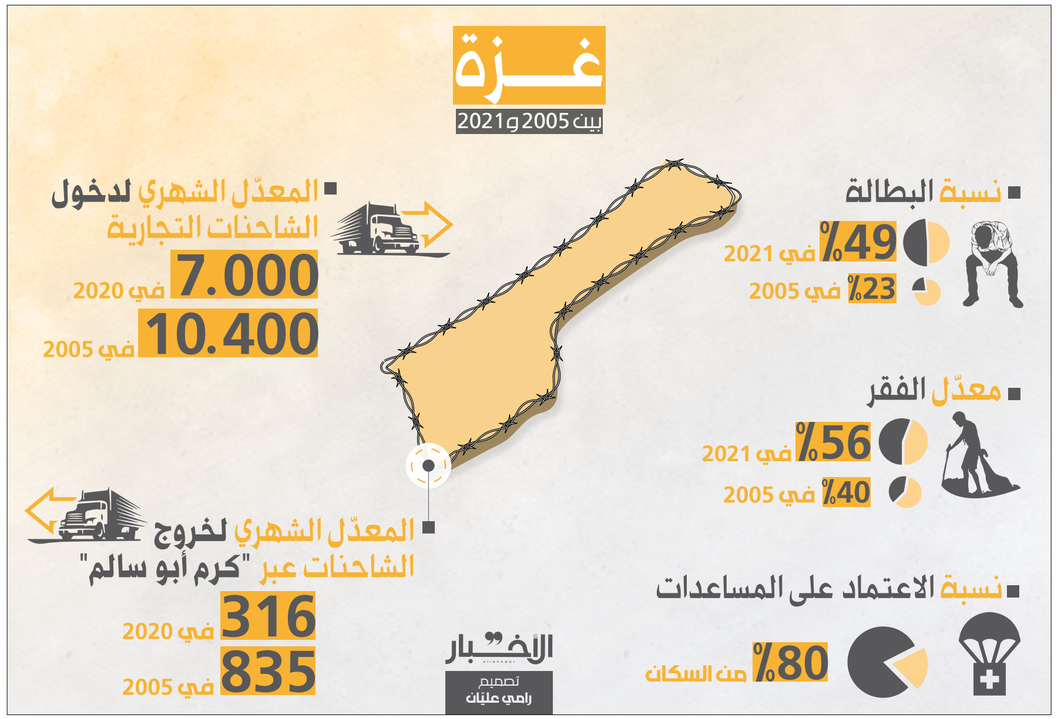


# 15 عاماً من التوحّش: «الحضارة» لم ترَ شيئاً!

غزة - رجب المدهون

مع دخول العام الـ16 للحصار على قطاع غزة، لا يزال القطاع يعيش أوضاعاً إنسانية واقتصادية في غاية الصعوبة، جعلت منه سجناً كبيراً لأكثر من مليوني فلسطيني، وسط معدّل بطالة ليس له مثيل عالمياً، وحالة فقر أصابت الغالبية العظمى من السكّان. وبحسب معطيات إحصائية جمعتها «الأخبار»، فقد مسّ الحصار جميع مناحي الحياة، وحوّل غزة إلى مكان غير صالح للحياة، في ما يمثّل فضيحة دولية طويلة الأمد لا يزال العالم غير مكترث لها، فقط لأن المتضرّرين هم السكّان الذين يقاومون دولة الاحتلال الإسرائيلي.

## عجز شامل

بعد مرور أكثر من 15 عاماً على الحصار، بلغ العجز في الأرصدة الدوائية في قطاع غزة أكثر من 50%، بعدما كان 16% فقط في عام 2005، فيما فاقت نسبة العجز في المستهلكات الطبية 65%، وفي الخدمات المُقدَّمة لمرضى السرطان 42%. كذلك، تدنّى عدد الأسرّة المتاحة للغزّيين في المستشفيات إلى 1,6 لكلّ ألف شخص مقارنة بـ3 عام 2005، في حين باتت 7 من كلّ 10 عائلات تعاني من انعدام الأمن الغذائي، مقارنة بـ2 من كلّ 10 عائلات في عام 2005. وبحسب التقارير الاقتصادية، فإن نسبة الذين يعتمدون على المساعدات تجاوزت 80% من السكّان (1,8 مليون نسمة)، بعد أن فقد أكثر من ثمانين ألف عامل مصادر رزقهم، وأغلقت 80% من المصانع، وتوقّفت جميع المشاريع الإنشائية. وفي المجال الزراعي، تعرّض أكثر من 80% من المحاصيل للتلف بسبب عدم السماح بدخول الأدوية الزراعية والأسمدة وغيرها من المستلزمات الزراعية، بينما أصيب قطاع الاستثمار بانتكاسة كبيرة، وتجاوزت الخسائر المباشرة لقطاع المستوردين والتجّار 25 مليون دولار حتى عام 2016، قبل أن ترتفع إلى أكثر من 50 مليوناً حتى مطلع العام الحالي، حيث تكبّد نحو ألفي مستورد فلسطيني خسائر فادحة بسبب تراكم الحاويات في الموانئ الإسرائيلية. وفي أعقاب معركة «سيف القدس»، عاود الاحتلال تشديد حصاره على غزة، عبر إغلاق المعابر بشكل شبه كامل، ما كبّد التجار والمستوردين خلال أكثر من 50 يوماً قرابة 12 مليون دولار، وفق معطيات اقتصادية فلسطينية.

> نسبة الذين يعتمدون على المساعدات تجاوزت 80% من السكّان

## لا منفذ

في عام 2005، كان تنقّل الأفراد والبضائع يتمّ من خلال 6 معابر، لكن بعد الحصار بات عبر 3 معابر فقط، هي: معبر رفح مع مصر، ومعبر بيت حانون (إيرز) ومعبر كرم أبو سالم مع الاحتلال. شهد العامان الأخيران من الحصار انخفاضاً حادّاً في حركة المسافرين عبر معبر رفح مقارنة بالأعوام الفائتة (نحو 4200 مسافر شهرياً عام 2020 مقابل 12 ألف مسافر عام 2019)، وذلك بسبب استمرار السلطات المصرية في فرض قيود مشدّدة على عدد الأشخاص المسموح لهم بالسفر وهويّاتهم. ولذا، يتعيّن على العديد من الفلسطينيين في غزة دفع «رسوم تنسيق» (غير رسمية) باهظة تتراوح ما بين 600 و1200 دولار حتى يتمكّنوا من المغادرة. وعلاوة على ما تَقدّم، يتعامل أفراد الأمن المصري مع المسافرين الفلسطينيين على نحو غير إنساني، ويُخضعونهم لتفتيش متكرّر ومُهين، وهو ما يتسبّب بإطالة مدّة الرحلة بين معبر رفح ومطار القاهرة حتى 72 ساعة في بعض الحالات (لا تستغرق أكثر من 6 ساعات في الوضع الطبيعي). وعلى الجانب الآخر، شدّد الاحتلال قيوده على سفر الفلسطينيين عبر معبر بيت حانون، إذ وافق خلال العامين الماضيين على 28% فقط من طلبات الحصول على تصاريح من قِبَل المرضى الفلسطينيين للسفر والعلاج في الداخل المحتلّ والضفة الغربية، مقارنة بـ97% في عام 2005. وبحسب تقرير «مؤتمر الأمم المتحدة للتجارة والتنمية» (أونكتاد) الصادر في نهاية عام 2020، قُدّرت التكلفة الاقتصادية للحروب والحصار على غزة خلال العقد الماضي بـ16,7 مليار دولار، وهو ما يعني أن نصيب الفرد الواحد من الخسائر الاقتصادية يبلغ نحو 9 آلاف دولار.

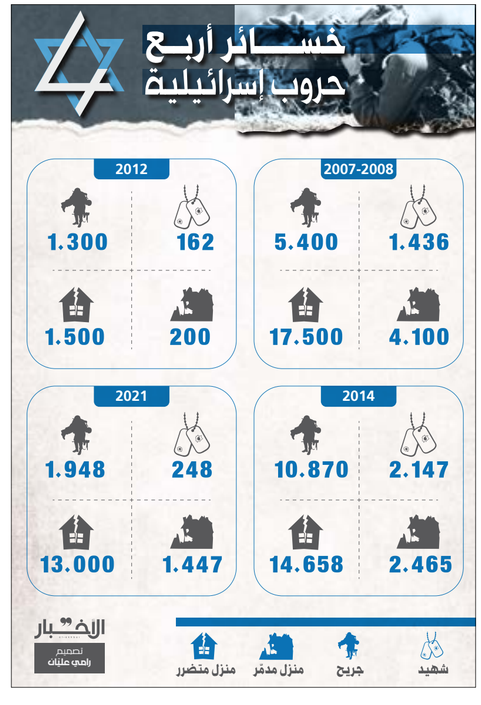


اليمن

# فرحة الرياض وواشنطن لا تدوم
# «زاهر البيضاء» بأيدي قوات صنعاء

صنعاء - رشيد الحداد

لم ينجح التحالف السعودي - الإماراتي في تغيير الخارطة العسكرية على الأرض في محافظة البيضاء لصالح الميليشيات الموالية له. فالمكاسب المحدودة التي سارع إلى إهدائها للجانب الأميركي الذي يشرف على المعركة هناك، تحوّلت إلى انتكاسة صادمة، بعدما كانت الرياض تترقّب سقوط المركز الإداري للمحافظة تحت سيطرة ميليشيات «العمالقة» الجنوبية السلفية وعناصر «القاعدة» ومسلّحي قبيلة آل حميقان الموالين لـ«التحالف». إذ استعادت قوات صنعاء مركز مديرية الزاهر، وأجبرت تلك الميليشيات على الفرار إلى ما بعدها، كما توغّلت في عمق معاقل «القاعدة» في مديرية الصومعة، لتُسقط مواقع استراتيجية فيها. هذه الانتكاسة، التي لم يستغرق تحقّقها أكثر من 12 ساعة، أعادتها قيادة الميليشيات السلفية إلى «خيانة» حزب «الإصلاح»، ووزير الدفاع في حكومة الرئيس المنتهية ولايته عبد ربه منصور هادي، اللواء محمد الشرادي، فيما أرجعها أمين عام حزب «الرشاد» السلفي، عبد الوهاب الحميقاني، الذي كان أوّل من اعترف بسقوط جبهة الزاهر، إلى «توقّف الإسناد الجوي للطيران السعودي»، قائلاً في سلسلة تغريدات على «تويتر»، إن مَن وصفهم بـ«المقاومين» انسحبوا تحت كثافة النيران إلى مواقعهم السابقة في الزاهر.

مصدر عسكري وآخر محلّي أوضحا، لـ«الأخبار»، أن الجيش و«اللجان الشعبية» شنّا، بعد تلقّيهما تعزيزات عسكرية من صنعاء، هجوماً معاكساً من أربعة مسارات على مركز مديرية الزاهر، وخاضا بدءاً من مساء الأربعاء مواجهات مع ميليشيات العمالقة ومسلّحي آل حميقان لساعات، قبل أن ينجحا فجر الخميس في فرض سيطرة نارية على مركز المديرية، ويتقدّما ظهراً من اتجاه إليه. وأضاف المصدران أن «الميليشيات حاولت مقاومة الهجوم لساعات، إلا أنّها فشلت ولاذت بالفرار من مركز مديرية الزاهر والمناطق المحيطة بها من ثلاثة اتجاهات، مُخلّفة وراءها قتلى وعتاداً عسكرياً». كما أنها عادت وحاولت، بحسب المصدرين نفسيهما، «التمركز في عدد من المواقع العسكرية على أطراف مركز المديرية، إلا أنه لم تمضِ سوى ساعات حتى فقدت السيطرة عليها تحت ضربات قوات صنعاء».

من جهته، بيّن مصدر قبلي، لـ«الأخبار»، أن «قوات صنعاء هاجمت، بمساندة قبلية كبيرة، الخميس، عدداً من المواقع الهامّة في الزاهر من عدّة محاور، وتمكّنت من السيطرة على مواقع الجماجم والصوه والجردي ونصبة كساد، وصولاً إلى مواقع جديدة كانت تحت سيطرة قبائل آل حميقان منذ ستّ سنوات»، مضيفاً أن «الجيش واللجان فرضا سيطرتهما على جبل ومنطقة كساد بالكامل». وتابع المصدر أن «ميليشيات العمالقة، التي تلقّت تعزيزات كبيرة عبر طريق لودر - مكيراس - البيضاء، حاولت، في المقابل، أن تتقدّم باتجاه محور منطقة قربة، فكان الردّ من قِبَل قوات صنعاء الكاملة على مواقع الشبكة وقرية قربة، وتامين المواقع العسكرية الواقعة غرب محور القربة»، وبينما «ساد الهدوء جبهة ناصع والجريبان الواقعة على التماس مع محور بيحان التابع لقوات هادي الخميس، حقّق الجيش واللجان تقدّماً جديداً باتجاه المعقل الأخير لتنظيم القاعدة في مديرية الصومعة»، بحسب المصدر نفسه.

وأفاد مصدر عسكري في البيضاء، بدوره، بأن «القاعدة تكبّد خسائر بشرية فادحة خلال عملية هجومية شنّتها قوات صنعاء على معاقله في منطقة شوكان فجر الخميس، وانتهت بالسيطرة على منطقة شوكان والمواقع العسكرية التي كان يتمركز فيها عناصر التنظيم شرق وجنوب موقع شبكة شوكان».

في غضون ذلك، وبينما نشر الإعلام الحربي التابع لوزارة الدفاع في صنعاء مشاهد للعملية العسكرية التي أسفرت عن تحرير مركز مديرية الزاهر وعدد من المواقع المهمّة في مديرية الصومعة، علّق رئيس وفد صنعاء المفاوض، محمد عبد السلام، على التطوّرات الأخيرة بالقول إن التحالف السعودي - الإماراتي لا يحرز شيئاً سوى الهزيمة في الجبهات، واصفاً ما حدث في البيضاء بـ«الضربات المُذلّة». ولفت عبد السلام إلى أن «تحالف العدوان أصبح يواجه في كلّ الجبهات واقعاً يستحيل عليه تجاوزه مهما حاول»، مؤكداً أن «مكابرته باستمرار الغارات وفرض الحصار لن تنال من عزيمة وإرادة الشعب اليمني».

توغّلت قوات صنعاء في عمق معاقل «القاعدة» في مديرية الصومعة (أ ف ب)

> نشر الإعلام الحربي مشاهد للعملية التي أسفرت عن تحرير مركز مديرية الزاهر

تقرير

# لا قرار دولياً حول أزمة «النهضة»: الانقسام يعاكس القاهرة والخرطوم

> لا يزال مشروع القانون الذي تقدّمت به تونس لحلّ أزمة «سد النهضة» معلّقاً، بعد إرجاء مجلس الأمن الدولي التصويت عليه إلى موعد لم يُحدَّد بعد. وفي ظلّ إصرار إثيوبيا على حلّ القضية «التقنية» من خلال «الاتحاد الأفريقي». وبعد مناقشات استمرّت لساعات في المجلس، بدت الولايات المتحدة وفرنسا أكثر تفهُّماً لمخاوف مصر من الإجراءات الأحادية المتمثّلة في الملء الثاني لبحيرة السدّ، في حين أيّدت روسيا صراحةً موقف أديس أبابا، منتقدةً تلويح القاهرة الدائم باستخدام القوّة

القاهرة - الأخبار

جلسةٌ كاشفة لمواقف العديد من أطراف أزمة «سد النهضة» الإثيوبي، جرت في مجلس الأمن. الجلسةُ التي فضّلت أديس أبابا أن توفد إليها وزير الريّ والطاقة بدلاً من وزير الخارجية، على غرار دولتَي المصبّ، مصر والسودان، شهدت جولةً جديدة من السجالات بين البلدان الثلاثة، وسط تغيُّر في قواعد الاشتباك، جعل من المجتمع الدولي طرفاً فيها. وفيها، برزت مواقف متغيّرة ومتناقضة أحياناً، بعدما اتبعت القاهرة سياسة التحشيد، قبل أشهر من الوصول إلى هذا اليوم، باعتباره تاريخاً فاصلاً في الأزمة الممتدّة منذ 10 سنوات.

وخلال الجلسة المارثونية، برز موقف لافت لباريس التي أبدت دعمها للقاهرة، بعد ساعات من صدور بيان أوروبي أشار إلى مشروعيّة مخاوف مصر والسودان، وضرورة عدم اتّخاذ خطوات أحادية، بما فيها الملء الثاني للسدّ؛ وأظهرت موسكو، من جهتها، دعماً واضحاً لأديس أبابا، عبر التركيز على ضرورة توقُّف القاهرة عن التلويح باستخدام القوّة، فيما تضمّنت كلمة مصر التي ألقاها وزير الخارجية، سامح شكري، تأكيداً على «حقّ بلاده في اتخاذ الإجراءات التي تراها مناسبة». كذلك، بدا الموقف الأميركي مؤيداً للقاهرة، لجهة «تفهُّم» تخوّفها من الإجراءات الأحادية، مع التأكيد على ضرورة استئناف المفاوضات بشكل عاجل، وهو موقف يأتي متّسقاً مع التحرّكات المصرية، لاستمالة الموقف الأميركي. في المقابل، أبدت روسيا والصين تحفُّظاً، دفع وزير الريّ الإثيوبي إلى استجداء «فيتو» على مشروع القرار الذي أعدّته تونس، العضو غير الدائم في المجلس، من أجل إلزام الأطراف الثلاثة على التوقيع على اتفاق قانوني مُلزم في غضون ستة أشهر كحدٍّ أقصى.

التحوّلات في الجلسة، لم تكن على مستوى مواقف الدول الكبرى فحسب، بل أيضاً على مستوى موقف السودان الذي ظهّر رفضه للخطوات الإثيوبية، إذ أعربت وزيرة الخارجية السودانية، مريم الصادق المهدي، عن أملها في أن يتبنّى المجلس مشروع قرار يعبّر فيه عن مسؤولياته بصفته «راعياً للسلام». واختار وزير الخارجية المصري أن يخاطب المجلس بالإنكليزية، موجّهاً رسائل واضحة إلى الجانب الإثيوبي، مفادها بأن بلاده «لن تسمح لأديس أبابا بالسيطرة على مياه النيل والتحكّم فيها». وفي الكلمة الإثيوبية التي ألقاها وزير الريّ والطاقة، سيليشي بيكيلي، ظهرت واضحة رغبة بلاده في المراوغة وإغلاق الملفّ بشكل نهائي من جانب المجلس، إذ اعتبر الوزير أن مناقشة مسألة السدّ، وهي أمر فني، في مجلس يُعتبر هيئة سياسية، أمر غير مجدٍ، وخاصّة أن «سد النهضة» ليس الأوّل من نوعه على مياه النيل. على أن التفاهمات التي جرت في السابق بين أديس أبابا والخرطوم في شأن السدّ، نُسفت بشكل كامل، على رغم العوائد المستقبلية من كهرباء السدّ على السودان، وهو ما ظهر واضحاً في تصريح وزيرة الخارجية السودانية التي اعتبرت أن المشكلة ليست فنية مرتبطة بقضيّة المياه، ولكنها «مشكلة دولة ترغب في استخدام المياه كسلاح تهدّد به جيرانها». لكنّ ممثّل أديس أبابا بدا متمسّكاً بإعادة المفاوضات إلى «الاتحاد الأفريقي» الذي تترأسه الكونغو الديمقراطية في الدورة الحالية، والتي تحدّث ممثلها في الجلسة عن إمكانية التوصُّل إلى اتفاق، إذا ما توافقت الإرادة السياسية بين الدول الثلاث، مؤكداً أن السدّ يهدّد مصر والسودان اللذين يعتمد اقتصاداهما وسبل معيشة شعبيهما على نهر النيل. وعلى عكس موقف الرئيس السابق للاتحاد، جنوب أفريقيا، التي دافعت

> بدا الموقف الأميركي مؤيّداً للقاهرة، لجهة تفهُّم تخوّفها من الإجراءات الأحادية

طالبت إثيوبيا العودة إلى التفاوض في إطار «الاتحاد الأفريقي» (أ ف ب)

ضمناً عن التحركات الإثيوبية، جاءت تصريحات مندوب الكونغو لتشدّد على ضرورة كسر حاجز انعدام الثقة وتوفير الضمانات لجميع الأطراف لضمان نجاح المفاوضات.

التفاهمات التي جرت بين الدول الأعضاء في مجلس الأمن، والتي تركّزت على العودة إلى التفاوض برعاية «الاتحاد الأفريقي»، ووفق اتفاق المبادئ الموقّع عام 2015 بين البلدان الثلاثة، باعتباره مرجعاً رئيساً في الأزمة، أعادت المطالبات بإعادة النظر في الاتفاق الذي لم يصدّق عليه البرلمان المصري حتى الآن، بما يمكّن الدولة من سحب توقيع الرئيس عليه حال احتياجها إلى ذلك، ولا سيما أنه لا يلزم أديس أبابا بأيّ إجراءات في حال فشل المفاوضات. وكما السجالات التي شهدتها قاعة المجلس، تبنّى كلّ وزير، في المؤتمرات الصحافية التي عُقدت بعد الجلسة، وجهة نظر مختلفة؛ إذ لفت وزير الريّ الإثيوبي إلى أن بلاده لا تقوم ببناء مفاعل نووي، ولكن سدّ للمياه، وهو ما يجعله قضيّة فنية، متهماً مصر والسودان بعرقلة المفاوضات. وعبّرت وزيرة الخارجية السودانية، من جهتها، عن أملها في تبنّي روسيا لمشروع القرار التونسي، بينما أبدى نظيرها المصري رغبة في توجيه المجلس لإعادة استئناف المفاوضات من أجل توقيع اتفاق مُلزم للدول الثلاث.

تقرير

# إيران لا تريد مواجهة «طالبان»: الأسلم اتفاق أفغانيّ - أفغانيّ

لإيران أكثر من 930 كيلومتراً من الحدود المشتركة مع أفغانستان (أ ف ب)

على رغم محاولة الإيرانيين الإيحاء بأن عودة «طالبان» إلى الحُكم في الجارة الشرقية، أفغانستان، لن تكون مشكلة، إلّا أن هناك انقساماً كبيراً داخل البلاد حيال خيار التعامل مع الحركة، التي يبدو أن تمدُّدها على طول الجغرافيا الأفغانية يؤرّق كثيرين في طهران. لهذا، تسعى الحكومة الإيرانية إلى التقريب بين «طالبان» والحكومة المركزية في كابول، علّ اتفاقاً بينهما لتقاسم السلطة يجنّب الجمهورية الإسلامية تداعيات العودة 20 سنةً إلى الوراء

طهران - **محمد خواجوئي**

فرض تقدُّم حركة «طالبان» على طول الجغرافيا الأفغانية، وتمدُّدها مع بدء انسحاب القوات الأجنبية من أفغانستان، واقعاً جديداً في إيران، البلد الذي له حدود مشتركة تبلغ 930 كيلومتراً مع جارته الشرقية. وهو تطوّر حمل معه واقعاً أمنياً جديداً وحسّاساً، ووضع الجمهورية الإسلامية أمام خيارَين اثنَين: فإمّا قبول «طالبان» كقوّة أمر واقع، أو الدخول في مواجهة معها. ولكن يبدو أن طهران ركنت إلى الخيار الأوّل، خصوصاً في ظلّ استضافتها محادثات بين الحركة وحكومة كابول، لدفعهما إلى تبنّي نهج من التعاون في ما بينهما.

ومن المفارقات التي يمكن التوقُّف عندها والتأمُّل فيها، أن سقوط نظام «طالبان»، على يد الغزاة الأميركيين في عام 2001، نزل برداً وسلاماً على طهران، التي اعتبرت، في حينه، أن دحر الحركة يعود بالفائدة على أمنها. على هذه الخلفية، اختارت الجمهورية الإسلامية، على مدى العقدَين الأخيرَين، دعم الحكومة المركزية في كابول، جنباً إلى جنب معارضة الوجود الأميركي في أفغانستان. ومع ذلك، يبدو أنّ تنامي نفوذ «طالبان» التي تمكّنت من الاستيلاء على أكثر من نصف مساحة البلد، في السنوات الأخيرة، دفع إيران إلى التواصل مع المجموعة، فكان أن أعلن وزير خارجيتها، محمد جواد ظريف، أن بلاده لم تُخرج «طالبان» من قائمة المجموعات الإرهابية، لكنّها تجري معها محادثات. وفي السياق ذاته، زارت وفود من الحركة طهران، على مدى الأشهر الأخيرة، حيث عُقدت لقاءات ومحادثات مع المسؤولين الإيرانيين. كما استضافت وزارة الخارجية الإيرانية، خلال اليومين الماضيين، ممثّلين عن الحركة والحكومة، ضمن اجتماع سياسي بعنوان «الحوار بين الأطراف الأفغانيين».

### تفاوت رؤى في طهران

برزت رؤى مختلفة في إيران حيال التطوّرات التي تشهدها جارتها الشرقية؛ وعلى الرغم من أن السياسة الرسمية للدولة تتمثّل في حماية المصالحة ودفع الحوار بين «طالبان» والحكومة قُدُماً، إلّا أن ثمّة شكوكاً كبيرة في شأن تقيُّد الحركة بالسلام، وقبولها إشراك الأطراف الفاعلين في السلطة، وما إذا كان الحوار المفروض ذا جدوى أساساً. وفي هذا الإطار، تقول سمية مروتي، مديرة «مجموعة دراسات جنوب وشرق آسيا» في «معهد طهران للدراسات والأبحاث الدولية»، لـ«الأخبار»، إن هناك توجّهَين في إيران حيال التطورات في أفغانستان. فمن جهة، يدعو البعض إلى تقبُّل «طالبان» والتعاون معها، فيما يعارض آخرون أيّ تعاون مع الحركة، من جهة ثانية. وترى الفئة الأولى، وفق مروتي، أنه «نظراً إلى أن طالبان تشكّل القوة المتفوّقة، أو على الأقل ذات التأثير الأكبر في أفغانستان، وتقيم القوى المختلفة تواصلاً معها، فإنّ طهران، ومن أجل حماية مصالحها وأمنها القومي، لا بدّ أن تقبل بإجراء المحادثات معها»، فيما تذهب الفئة الثانية إلى رفض «الدخول في حوار مع أنصار الإسلام المتطرف ممّن جلبوا المعاناة للشعب الأفغاني، وتسبّبوا بأثمان أمنية وسياسية مرتفعة على إيران». وتوضح أن هؤلاء يرَون أن الحوار القائم «يؤدّي إلى تقويض الحكومة الأفغانية وزيادة الثقة بالنفس لدى طالبان، والنيل من المصداقية الدولية لإيران». ومع ذلك، تؤكّد الخبيرة في الشؤون الأفغانية، أنه «من الصعب فهْم السياسة الإيرانية تجاه طالبان»، خصوصاً أن «العديد من المؤسّسات الإيرانية تتعاطى مع هذا الملفّ، كما أن العمل الموازي وغياب سياسة منسجمة واستراتيجية متكاملة، يشكّلان تحدياً أمام سياستنا الخارجية في هذا المجال». وإذ تلفت إلى أن «السياسة الرسمية الإيرانية تتمثّل في دعم الحكومة المركزية»، تقول مروتي إن «الحوار مع طالبان، يفضي إلى إضعاف السياسة المعلنة لإيران».

بناءً على ما تقدّم، تخلص الخبيرة الإيرانية إلى القول إن «الترابط بين المجموعات المتطرّفة في أفغانستان يشكّل أحد أكبر التحدّيات لطهران وللمنطقة»، معتبرة، في الوقت ذاته، أن «انحسار الأزمة في سوريا والعراق، يفضي إلى تحوّل أفغانستان، مرّة أخرى، إلى ملاذ للمجموعات الإرهابية».

### قلق من العامل الأميركي

في غضون ذلك، تزايدت النقاشات في شأن هدف الحركة ومشروعها النهائي، وما إذا كانت بصدد الإمساك بالسلطة. ويتّجه البعض إلى البحث في العلاقة بين سياسات الولايات المتّحدة وتوجّهات «طالبان»، وتأثير ذلك على خصوم واشنطن، وعلى

> **يدعو البعض في طهران إلى تقبُّل «طالبان» والتعاون معها، فيما يعارض آخرون هذا التوجّه**

رأسهم طهران. وفي هذا الإطار، يذهب الخبير في الشؤون الأفغانية وشبه القارة الهندية، بير محمد ملازهي، إلى اعتبار «طالبان مجموعة شمولية مذهبية وعرقية، هدفها النهائي الإمساك بالسلطة بشكل كامل»، مشيراً إلى أن «توجّهاتها الإيديولوجية والشمولية لم تتغيّر، على رغم اعتمادها بعض التغييرات التكتيكية». ويقول ملازهي، لـ«الأخبار»، إنه «يجب تقييم إجراءات طالبان في إطار الاتفاق الموقّع بينها وبين واشنطن»، مضيفاً أن «هذه الإجراءات تُتّخذ بالتزامن مع انسحاب القوات الأميركية، وبضوء أخضر من واشنطن، لكي تصل طالبان في نهاية المطاف إلى السلطة، ولتمارس بذلك الضغط على منافسي الولايات المتحدة، أي روسيا والصين وإيران». وبحسب الخبير الإيراني، تعمل الحركة، في المرحلة الحالية، على «ممارسة المزيد من الضغوط على الحكومة المركزية، حتى تدفعها إلى القبول بتسلُّم حكومة موقّتة زمام الأمور، تكون لطالبان الأغلبية فيها، ومن أبرز مهماتها إجراء الانتخابات». ومن هذا المنطلق، يرى ملازهي أنه «نظراً إلى الخلافات القائمة بين الرئيس الأفغاني، أشرف غني، ورئيس المجلس الأعلى للمصالحة، عبد الله عبد الله، فمن المرجّح أن تفوز طالبان في الانتخابات». وعندها، يضيف، ستتابع الحركة «هدفها الرئيس المتمثّل في تأسيس إمارة إسلامية». لذا، فإن «مصلحة إيران تقتضي أن تتولّى السلطة في كابول حكومة يترسّخ فيها التوازن العرقي، على أن يحصل نوع من توزيع الأدوار، ويجري تثبيت ذلك في الدستور».

## استراحة

### كلمات متقاطعة 3784

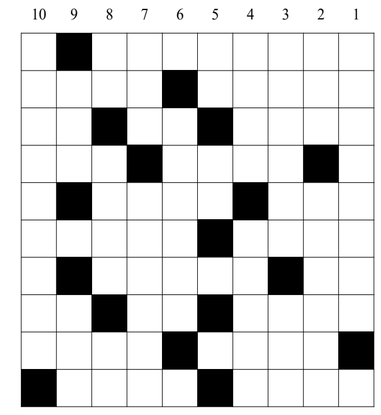

### sudoku 3784

| | | | | | | | | |
|---|---|---|---|---|---|---|---|---|
| 9 | | | | | 8 | 1 | | |
| 7 | | | 6 | | | 9 | | 8 |
| 3 | | | 1 | | | 4 | | |
| | 9 | | 4 | 2 | | | 5 | |
| | 1 | 3 | | | | 2 | 7 | |
| | 6 | | | 9 | 1 | | 8 | |
| | | 8 | | | 4 | | | 3 |
| 6 | | 9 | | | 7 | | | 2 |
| | | 5 | 3 | | | | | 6 |

### حل الشبكة 3783

| | | | | | | | | |
|---|---|---|---|---|---|---|---|---|
| 9 | 6 | 1 | 3 | 7 | 4 | 5 | 2 | 8 |
| 8 | 4 | 3 | 9 | 5 | 2 | 6 | 7 | 1 |
| 5 | 7 | 2 | 6 | 1 | 8 | 4 | 9 | 3 |
| 7 | 3 | 8 | 1 | 2 | 6 | 9 | 5 | 4 |
| 6 | 2 | 4 | 8 | 9 | 5 | 1 | 3 | 7 |
| 1 | 5 | 9 | 4 | 3 | 7 | 8 | 6 | 2 |
| 3 | 8 | 6 | 2 | 4 | 9 | 7 | 1 | 5 |
| 4 | 1 | 7 | 5 | 6 | 3 | 2 | 8 | 9 |
| 2 | 9 | 5 | 7 | 8 | 1 | 3 | 4 | 6 |

### شروط اللعبة

هذه الشبكة مكوّنة من 9 مربعات كبيرة وكل مربع كبير مقسّم إلى 9 خانات صغيرة. من شروط اللعبة وضع الأرقام من 1 إلى 9 ضمن الخانات بحيث لا يتكرر الرقم في كل مربع كبير وفي كل خط أفقي أوعمودي.

### مشاهير 3784

| 11 | 10 | 9 | 8 | 7 | 6 | 5 | 4 | 3 | 2 | 1 |
|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|
| | | | | | | | | | | |

فنان لبناني فاز بالميدالية الذهبية في برنامج استديو الفن مع شهادة تقدير. يُعتبَر صوته من أعرق وأجمل الأصوات اللبنانية. من البوماته «موضة جديدة»

5+4+2+6+1+6+1+3 = آلة موسيقية وترية ■ 8+7+3+9+10 = خير الأمور ■ 1+11 = حرف نصب

حل الشبكة الماضية: **رودي جولياني**

إعداد
**نعوم مسعود**

### حلول الشبكة السابقة

**أفقيا**

1- جب - السفّاح - 2- وحوش - يالطا - 3- زو - ريَا - فيل - 4- يثرب - دم - نف - 5- جبيل - 6- جَان دارك - رت - 7- ود - مكيول - 8- طهر - نشّاك - 9- ردم - تاو - نَا - 10- كازاخستان

**عمودياً**

1- جوزيف جوفر - 2- بحوث - إد - دك - 3- رون - طما - 4- أشرب - دمه - 5- جاكرتا - 6- سياد برّي - أخ - 7- فا - ميكونوس - 8- ألف - لس - 9- حطيّن - أنا - 10- الفاتيكان

**أفقيا**

1- نهر لبناني - 2- حديدية في مؤخرة حذاء راكب الحصان - مدينة في فلسطين - 3- من أشهر برامج التواصل والمحادثة على الإنترنت - أصل البناء - أصل - 4- صوت الجرس - إشتهر بالنوادر والفكاهات - 5- عندي - حلف شمالي الأطلسي بالأجنبية - 6- مدينة سورية - نهر هندي مقدّس - 7- ورك - أساس يُعتمد عليه - 8- ماركة سيارات - إسم موصول - نعم بالروسية - 9- جفاف النبات - هواء عليل - 10- من جبال لبنان - واحة في الحجاز

**عمودياً**

1- رئيس جمهورية لبناني - 2- خاصتها - عالم إنكليزي - 3- شدّة البرد - إمارة عربية - 4- سلاح حربي - من الأحجار الكريمة - 5- من الحبوب - عملة أسيوية - 6- مدينة أميركية في كاليفورنيا - 7- مدينة فرنسية - نسبة الى مواطن من بلد أفريقي - 8- للنداء - اتقان الصناعة بطريقة رفيعة - لعن وشتم - 9- منظمة فلسطينية - مسكن الرهبان - 10- عاصمة دولة تنزانيا سابقاً



## ◄ إعلانات رسمية ►

**إعلان**

تعلن كهرباء لبنان بأن مهلة تقديم العروض لتشغيل وصيانة معملي دير عمار والزهراني لمدة خمس سنوات من 16/2/2022 ولغاية 15/2/2027، موضوع استدراج العروض رقم ث‌د/1617 تاريخ 21/4/2021، قد مددت لغاية يوم الجمعة 20/8/2021 عند نهاية الدوام الرسمي الساعة 11:00 قبل الظهر.
يمكن للراغبين في الاشتراك باستدراج العروض المذكور اعلاه الحصول على نسخة من دفتر الشروط من مصلحة الديوان ـ امانة السر ـ في الغرفة المسبقة الصنع رقم 38 المستحدثة في الجهة الغربية من المبنى المركزي لمؤسسة كهرباء لبنان ضمن حرمه، مبنى كهرباء لبنان – طريق النهر وذلك لقاء مبلغ قدره 1 500 000/ ل.ل. علماً بأن العروض التي سبق وتقدم بها بعض الموردين لا تزال سارية المفعول ومن الممكن في مطلق الاحوال تقديم عروض جديدة أفضل للمؤسسة.
تسلم العروض باليد الى أمانة سر كهرباء لبنان ـ في الغرفة المسبقة الصنع رقم 38 المستحدثة في الجهة الغربية من المبنى المركزي لمؤسسة كهرباء لبنان ضمن حرمه.
بيروت في 5/7/2021
بتفويض من المدير العام
مدير الشؤون المشتركة بالإنابة
المهندس واصف حنيني
التكليف 559

**بلاغ رقم: 7/2**

تُعلن وزارة الاتصالات بأنها ستضع قيد التحصيل اعتباراً من 15/07/2021 الكشوفات التالية:
كشوفات فواتير الهاتف الثابت عن شهر حزيران عام 2021
بالإضافة الى كشوفات الفواتير المتأخرة غير المسددة، ولقد حددت مهلة أقصاها 16/08/2021 لتسديدها.
وتُذكر المشتركين الكرام بالتدابير التالية:
في حال التخلف:
1 - تُقطع خطوط المشتركين المتخلفين عن الدفع باتجاه واحد «للاستقبال فقط» اعتباراً من تاريخ 17/08/2021.
2 - تُقطع خطوط المشتركين المتخلفين عن الدفع بالاتجاهين اعتباراً من تاريخ 01/09/2021 وتستوفى الغرامة عن إعادة وصل الخط (11.000 ل.ل.) اعتباراً من هذا التاريخ.
3 - تُلغى اشتراكاتهم بصورة مؤقتة بعد مرور شهر واحد على تاريخ قطع الإشتراك اعتباراً من 04/10/2021 ويعاد وصله بعد تسديد المتأخرات المستحقة إضافة الى رسم اعادة وصل الخط (11.000 ل.ل.) وذلك حتى تاريخ الإلغاء النهائي.
4 - تُلغى اشتراكاتهم بصورة نهائية بعد مرور ثلاثة اشهر على تاريخ الإلغاء المؤقت اعتباراً من تاريخ 03/01/2022 وتستوفى غرامة قدرها (2%) شهرياً وتحرر الارقام الملغاة وتحصل المتأخرات بالطرق القانونية المعمول بها.
استناداً الى المادة 45 من قانون المحاسبة العمومية.
5 - يُحرم المشترك الملغى رقمه من الحصول على إشتراك جديد قبل تسديد جميع الفواتير المستحقة عليه.
ملاحظة: أ - تُقطع خطوط المشتركين المتخلفين عن دفع فاتورة هاتف شهر ايار عام 2021 باتجاه واحد «للاستقبال فقط» اعتباراً من تاريخ 15/07/2021.
ب - يمكن للمشتركين الملغاة خطوطهم والذين لم يسددوا فواتيرهم المتأخرة المبادرة الى تقسيط المتأخرات في صناديق المناطق الهاتفية وفي مصلحة الشؤون المالية - مبنى وزارة الاتصالات، شارع رياض الصلح وإمكانية الحصول على إشتراك جديد.
إمكانية تسديد الفواتير عبر الوسائل التالية:
- لدى اي صندوق من صناديق قبض الفواتير التابعة لوزارة الإتصالات على كافة الاراضي اللبنانية.
- لدى أي مصرف عبر توطين الفاتورة مقابل 2.000 ل.ل. للفاتورة الواحدة أو 1.500 ل.ل. للفاتورة الواحدة عبر الاشتراك بخدمة «جباية من العنوان» (للاشتراك بهذه الخدمة يمكن الاتصال بالرقم 629629/01 - مقسم 333).
- مكاتب شركة ويسترن يونيون OMT بكلفة 2.000 ل.ل. للفاتورة الواحدة.
- مكاتب شركة ويسترن يونيون BOB FINANCE بكلفة 2.000 ل.ل. للفاتورة الواحدة.
- عبر شبكة الانترنت على موقع هيئة أوجيرو (ogero.gov.lb).
كما تذكر المشتركين: بأحكام المرسوم رقم 4565/93 (المادة الثالثة منه) وتعديله بالمرسوم 11682 تاريخ 30/01/1998 لجهة تحديد مهلة أربعة أشهر للإعتراض بعد إنتهاء المهلة المحددة للدفع والمذكورة اعلاه، ووجوب تقديم طلب الاعتراض في المنطقة الهاتفية التابع لها رقم المشترك.
يُطلب من المشتركين الكرام التجاوب السريع مع مضمون هذا البلاغ، شاكرين لهم حسن تعاونهم.
بيروت في 22 حزيران 2021
المدير العام لإستثمار وصيانة المواصلات السلكية واللاسلكية
المهندس باسل أحمد الأيوبي
التكليف 555

**إعلان**

عن القاضي العقاري في الجنوب
طلبت سمر محمود بوكالتها عن قاسم حيدر شهادة قيد بدل عن ضائع للعقارات ذات الأرقام 2993 – 4044 – 1425 – 1427 – 2991 – 2873/ منطقة عنقون العقارية.
للمعترض 15 يوم للمراجعة
القاضي العقاري
محمد الحاج علي

**إعلان**

عن القاضي العقاري في الجنوب
طلب مصطفى حيدر شهادة قيد بدل عن ضائع للعقارات رقم 3759 – 3760 – 2873 – 2991 – 1427 – 1425 – 2993 منطقة عنقون العقارية.
للمعترض 15 يوما للمراجعة
القاضي العقاري
محمد الحاج علي

**إعلان**

عن القاضي العقاري في الجنوب
طلبت امنة حمام بوكالتها عن علي ابراهيم حيدر شهادة قيد بدل ضائع للعقارات رقم /878/ منطقة عنقون العقارية 2991 – 2993 – 1425 – 1427 – 2873 منطقة عنقون العقارية.
للمعترض 15 يوما للمراجعة
القاضي العقاري
محمد الحاج علي

**إعلان**

عن القاضي العقاري في الجنوب
طلب الاستاذ حسين مهدي نور الدين بالوكالة عن غالب ابراهيم حيدر شهادة قيد بدل عن ضائع للعقارات ذات الارقام 1263 – 2873 – 2991 – 1427 – 1425 – 2993 من منطقة عنقون العقارية.
للمعترض 15 يوم للمراجعة
القاضي العقاري
محمد الحاج علي

**إعلان**

عن القاضي العقاري في الجنوب
طلب مصطفى حيدر بولايته الجبرية عن ولده القاصر ابراهيم مصطفى حيدر شهادة قيد بدل عن ضائع في العقار رقم /411/ عنقون العقارية.
للمعترض 15 يوما للمراجعة
القاضي العقاري
محمد الحاج علي

## ◄ مطلوب ►

مدرسة أمجاد الشويفات، بحاجة الى معلمي لغات عربي فرنسي وانكليزي – ومعلمي رياضيات فرنسي وانكليزي للمرحلتين الابتدائية والمتوسطة (مع الزامية الشهادة التعليمية الجامعية والخبرة). للإستعلام 03775213

إشتراكات
إعلانات رسمية ومبوبة
وفيات
الأخبار al-akhbar
هاتف 01-759500
واتساب 71-513571
فاكس 01-759597
www.al-akhbar.com

تعلن جريدة الأخبار
عن حاجتها لمدقق لغوي
خبرة لا تقل عن ثلاث سنوات في مجال تدقيق وتصحيح المقالات والمواضيع الإخبارية
الرجاء إرسال السيرة الذاتية على البريد الإلكتروني:
HR@al-akhbar.com

الأخبار
al-akhbar
السبت 10 تموز 2021 العدد 4387

## صورة وخبر

**مع انطلاق فصل الصيف، تبرز أهمية السياحة الداخلية كمحرّك جزئي للعجلة الاقتصادية في ظل الأزمات الخانقة التي يعيشها اللبنانيون على الأصعدة كافة. يسهم في ذلك المغتربون وعائلاتهم وسط انهيار قيمة الليرة أمام الدولار الأميركي. في صيدا، تكرّست الجزيرة المقابلة للمدينة الجنوبية، والمعروفة بـ«الزيرة»، وجهة أساسية، وباتت مقصداً لمئات العائلات من صيدا والجوار في الـ«ويك أند»، وللسيّاح على مدار أيّام الأسبوع، كما أنّها استحالت مكاناً مثالياً لحمّام الشمس والاسترخاء والسباحة في مياه نظيفة بأعماق متفاوتة. (علي حشيشو)**

### ثقافة التحرير... في مواجهة النفط والتطبيع

في ذكرى منى نخلة حجّار، يدعو «منتدى العروبة للدراسات الاشتراكية»، اليوم السبت، إلى حضور ندوة واحتفال توقيع كتابه «ثقافة التحرير في مواجهة ثقافة النفط والتطبيع» في مقرّه في القرعون (البقاع الغربي). يندرج اللقاء المرتقب في إطار الأنشطة المنوّعة التي يحرص المنتدى على تنظيمها، فيما يشارك فيه كلّ من: فيفيان شويري (الصورة) التي ستلقي كلمة في ذكرى أستاذتها، ومنير مهنا، وهيفاء الإمام عميص. أما مهمّة إدارة الندوة، فيتولّاها مخايل عوض.

ندوة وتوقيع كتاب «ثقافة التحرير في مواجهة ثقافة النفط والتطبيع»: اليوم السبت ـ الساعة الخامسة عصراً ـ مقرّ «منتدى العروبة للدراسات الاشتراكية» (القرعون ـ البقاع الغربي). للاستعلام: 08/630246

### مهدي منصور: شِعر في «عَنْبَر»

ضمن فعاليات معرض «عَنْبَر» (مستمر لغاية 4 آب/ أغسطس 2021)، يستضيف الفنان أدهم الدمشقي، في بيته، يوم الأربعاء المقبل، الشاعر والأكاديمي مهدي منصور (الصورة) في أمسية شعرية. منصور حاصل على دكتوراه في الفيزياء وماجستير في التربية وجوائز شعرية عدة، منها «ذهبية الشعر المرتجل» في برنامج «المميزون» وجائزة لجنة تحكيم برنامج «أمير الشعراء». في رصيده 8 مؤلفات، أبرزها: «الظل فجر داكن»، «الأرض حذاء مستعمل» و«أخاف الله والحب والوطن».

أمسية شعرية لمهدي منصور: الأربعاء 14 تموز ـ الساعة السادسة مساءً ـ منزل أدهم الدمشقي في بيروت (الأشرفية ـ الجعيتاوي/ مقابل «البنك اللبناني الفرنسي»، الكامب الأبيض، المبنى الرابع، الطبقة الأولى).

### «معازف»: حكاية صوتيّة عن الاحتلال والعنف

أطلقت مجلّة «معازف»، أخيراً، ألبومها الجديد «إتس نوت كومبليكايتد» (It's Not Complicated) من خلال حفلة سماعيّة على «راديو معازف». وجاء الألبوم التجميعي على خلفيّة الهبّة الشعبيّة الأخيرة في فلسطين المحتلة، إذ قامت «معازف» بالتعاون مع مهندسة الصوت هبة قدري، بدعوة موسيقيين عرب وعالميين للمشاركة فيه دعماً لقضيّة الشعب الفلسطيني. ويشير عنوان العمل إلى أنّ أمر القضيّة ليس معقّداً على الإطلاق، رغم الأسئلة، والإجابات الكثيرة التي انتشرت وتنتشر على الجدران والفضاء الافتراضي، حول القضيّة الفلسطينيّة.

هكذا، يضمّ الألبوم 18 تسجيلاً لموسيقيين وفنانين، بأصوات وأنماط وخلفيات متعدّدة مثل براين إينو، ونيكولاس جار، ولافاوندا، ولي غامبل، وسارة هرّاس، وجيسيكا خزريق، وجلمود، وليليان شلالا... تسجيلات تبدو مجتمعة كـ«حكاية صوتيّة عن الاحتلال والعنف الاستعماري والمقاومة في وجه محاولة محو أرض وتاريخ وشعب ومستقبل»، كما جاء في بيان الألبوم الذي يوجّه تحيّة جماعيّة معنويّة إلى فلسطين، كما يهدف إلى دعم بعض المؤسسات والجمعيات الفلسطينية، حيث سيذهب ريع الألبوم وعائداته إلى جمعيّة «ماب» (Medical Aid for Palestinians)، و«المؤسّسة الصحفيّة والتوثيقيّة الفلسطينية المعنيّة بالقدس الجذور الشعبيّة المقدسيّة». علماً أنّه يمكن الحصول على الألبوم من خلال طلبه على موقع «باند كامب» (www.bandcamp.com)

### عبد الكريم الشعار ... يا «أهل الهوى»

ضمن «مبادرة دعم الموسيقى في بيروت»، يعود الفنان اللبناني عبد الكريم الشعار (الصورة)، في 24 تموز (يوليو) الحالي، إلى «مترو المدينة» ضمن موعده الشهري، ليقدّم حفلة بعنوان «أهل الهوى»، يؤدّي خلالها رائعة أم كلثوم الصادرة في عام 1944 من كلمات محمود بيرم التونسي وألحان زكريا أحمد. ترافق ابن مدينة طرابلس في السهرة الطربية المنتظرة فرقة موسيقية مؤلّفة من العازفين: زياد الأحمدية (عود)، محمد نحّاس (قانون)، طوني جدعون (كمنجة)، مكرم أبو الحسن (كونترباص)، بهاء ضو (إيقاع) وأحمد الخطيب (إيقاع).

حفلة «أهل الهوى»: السبت 24 تموز ـ الساعة التاسعة والنصف مساءً ـ «مترو المدينة» (الحمرا ـ بيروت). الدخول مجاني. (للاستعلام: 01/753021 أو 76/309363)

الأخبار
al-akhbar

كلمات

ملحق
أسبوعي

www.al-akhbar.com

السبت 10 تموز 2021
العدد 4387 السنة الخامسة عشرة
Samedi 10 Juillet 2021 nº 4387 15ème année

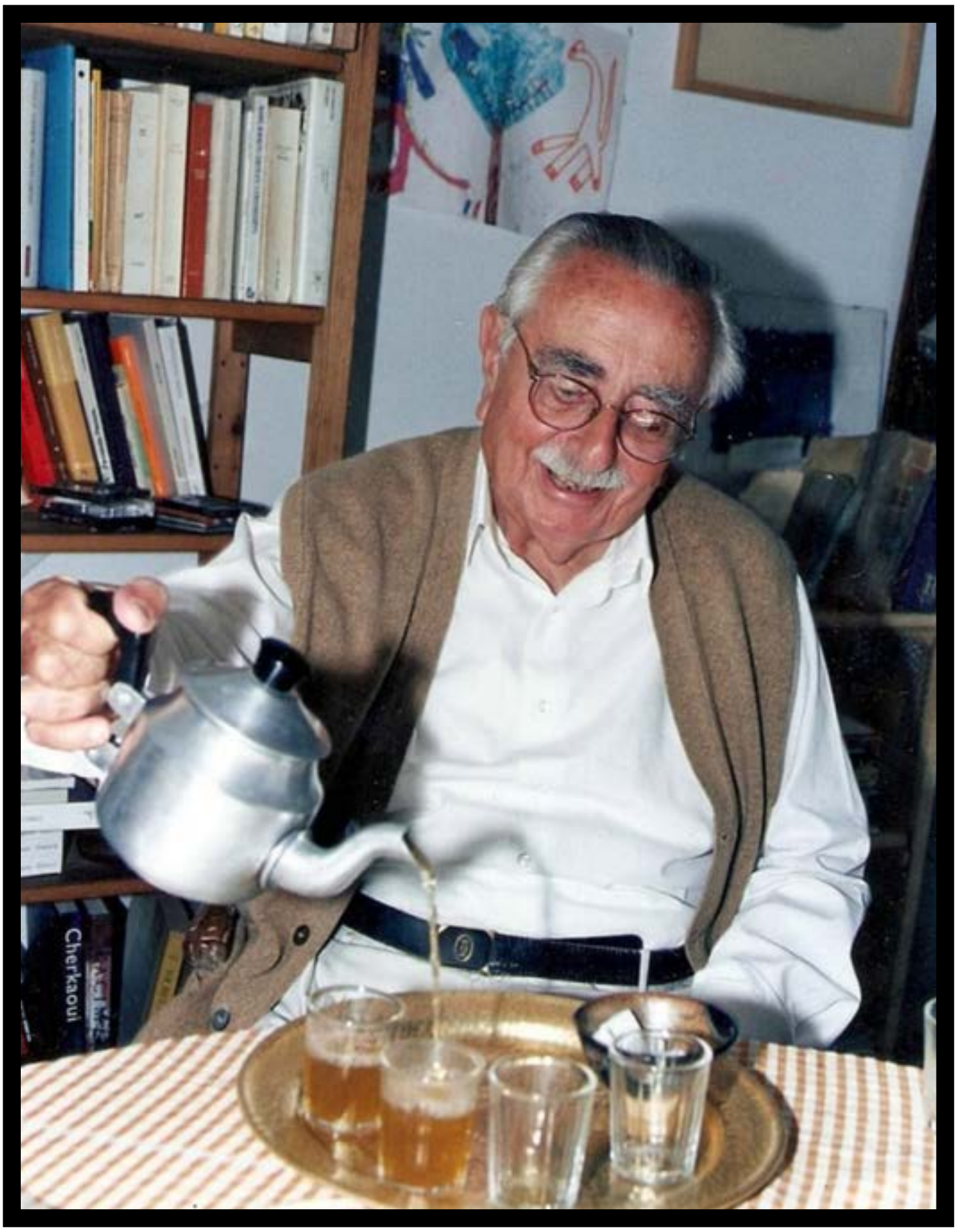


# إدمون عمران المالح
## عاشق فلسطين يموت مرّتين

أعاد الروائي الطنجي محمد سعيد احجيوج إحياء السجال حول دور «مؤسسة إدمون عمران المالح» الغائب في إعادة طباعة أعمال الكاتب المغربي الراحل (1917-2010) وإعطائها إشعاعاً جديداً من خلال الندوات التكريمية والتناول النقدي.

وكان محمد سعيد احجيوج قد وجّه، أخيراً، رسالة مفتوحة إلى أندري آزولاي، الرئيس الشرفي لـ«مؤسسة إدمون عمران المالح» (والمستشار في البلاط الملكي) الاسرائيلي الهوى، يدعوه فيها إلى العمل على إعادة نشر تراث الراحل، بعدما لاحظ غياب نصوص المالح في المكتبات المغربية، سواء في أصلها الفرنسي أو في ترجماتها العربية. وهذه ليست المرة الأولى التي يتم فيها توجيه سهام تقصير «مؤسسة إدمون عمران المالح» تجاه التعامل مع تركته الأدبية، إذ سبق للأكاديمي والروائي والناقد المغربي محمد برادة أن عبّر عن سخطه تجاه ركود نشاط المؤسسة في تعريفها بإدمون عمران المالح. ويجمع المغاربة جميعاً، بمثقفيهم وحتى بحكامهم، على اعتبار المالح، ليس فقط كاتباً أساسياً، بل أيضاً قامة وطنية، في مواقفه المشرفة، كابن للحركة الوطنية المغربية، تجاه القضايا التي تتبناها القوى الحية في المغرب وطنياً وقومياً.

إدمون عمران المالح، الذي تعود أصوله إلى عائلة تجّار يهود من مدينة الصويرة، من مواليد مدينة آسفي (1917)، ناضل في صفوف الحزب الشيوعي المغربي من أجل استقلال المغرب، وتدرّج في صفوفه إلى أن صار عضواً في مكتبه السياسي. اشتغل مدرّساً للفلسفة في ثانويات الدار البيضاء، واضطر بعد الحملات القمعية للنظام المغربي في 1965 إلى مغادرة المغرب إلى فرنسا، والكفّ، منذ 1959، عن أي نشاط سياسي، مكرّساً وقته للكتابة والصحافة، محرراً ثقافياً في «لوموند» الفرنسية. يعتبر مقاله السجالي الرائد «مغاربة يهود، لا يهود مغاربة» (المنشور في مجلة سارتر «الأزمنة الحديثة»)، من أولى الكتابات في الدفاع عن الهوية الوطنية للطائفة اليهودية في بلده، ولكل طوائف السفارديم، مفنّداً بذلك الدعاوى الغربية الاستعمارية والصهيونية لكاتب كألبير ميمي. لإدمون عمران المالح أربع روايات تغترف من سيرته ومن واقع الطائفة اليهودية المغربية: «المجرى الثابث» (1980، صدرت عن دار الفنك/ كازابلانكا، بترجمة عربية بديعة للشاعر محمد الشركي، ولم تُعَد طباعتها أبداً، رغم نفادها)، و«ألف عام بيوم واحد» (1986، صدرت ترجمتها العربية عن دار توبقال/ كازابلانكا، ولم تُعَد طباعتها، رغم نفادها)، و«عودة ابو الحكي» (1990) «ايلان أو ليل الحكي» (2000)، إضافة إلى دراسات فنية تتناول مجال التشكيل والفوتوغرافيا المغربي.

ملف

## ترجمات عربية جديدة لـ «الكوميديا الإلهية»

# دانتي نبيّ فلورنسا وابنها «الضال» شعر «حرّك الشمس وسائر النجوم»

سبعمئة عام على وفاة دانتي اليغري، عن ستة وخمسين عاماً في منفاه خارج وطنه الأم فلورنسا. ليبدأ «أثر دانتي» من إضفاء صفة «الإلهية» على عمله الأعظم «الكوميديا»، وصولاً إلى طباعة وجهه على العملة الأوروبية، واستلهام غوستاف دوريه لأعماله، والسوريالِيين، وبريمو ليفي في مسرحه عن المحرقة، وصولاً إلى كتّاب «البيستسيلر» مثل دان براون وغيره، وتموضع صاحب «الحياة الجديدة» في الصراع بين الشرق والغرب، الذي يبدو سهماً انطلق من القرون الوسطى ولا تُعلم له نهاية، في معركة حضارية وثقافية لم يسلم دانتي نفسه من إسقاطات إلغاء الآخر فيها حيناً، أو التماهي معه باستلهام رؤيته الصوفية والفنية للعالم الآخر حيناً آخر. فمن كان العاشق الزلالي لـ «بياتريشي»؟ وكيف كان كيانه ممزقاً بين الشاعر والفارس والعاشق؟ وما هي الرؤية الفنية والهندسية لـ «الكوميديا الإلهية»؟ وما هي أبعاد علاقته الملتبسة بالتراث العربي والإسلامي ونبي العرب؟ في ذكرى شاعر إيطاليا وفلورنسا الأعظم، ومع صدور ترجمات عربية جديدة ومنقّحة للكوميديا الإلهية، نجول في «كلمات» بين جحيم دانتي، ومطهره، وفردوسه

إعداد **محمد ناصر الدين**

## سيرة شاعر وعاشق ومحارب

ترجَّح ولادة دانتي منتصف عام 1265م ويمكن تمييز أحداث ثلاثة طبعت المرحلة الأولى من حياته: موت الأم قبل أن يتم دانتي الطفل عامه السادس، ووفاة الأب قبل بلوغه الثانية عشرة. أما الحدث الأبرز، فهو الوليمة التي دُعي إليها دانتي عام 1274 في بيت جاره فولكو بورتيناري ولقاؤه بابنة هذا الأخير، بياتريشي، والمدللة باسم بيتشي. لم يبارح الحب دانتي منذ تلك اللحظة حتى آخر يوم في حياته. هذا الحب الصوفي التقديسي الذي سيطبع نتاج دانتي الشعري والأدبي في «الوليمة» و«الحياة الجديدة» والعمل الأعظم «الكوميديا الإلهية»، وسيرافق دانتي الذي سيحرم من بياتريشي المتزوجة من غيره عام 1285، والتي تأثر إثْر موتها في ريعان الشباب عام 1290، هي التي أحبها يافعاً وشاباً وكهلاً، والهمته في ميادين الفكر والفروسية والشعر.

لعب برونو لاتيني (1220-1294) الدور الكبير في نمو دانتي العقلي والفكري، ولا سيما في تلقينه ناصية اللغة اللاتينية، والفرنسية والإيطالية، وأصول الخطابة والشعر واللاهوت والعلم والتاريخ، ليَنطلق العقل الفلورنسي الفذ من بعدها لحضور الدروس في بادوفا وبيزا وبولونيا، وجامعة باريس، وربما في أوكسفورد.

حارب دانتي بشجاعة في الصفوف الأمامية في معركة كامبالدينو عام 1289 التي هزم فيها الفلورنسيون، وحلفاؤهم، القوى المناهضة للبابوية شر هزيمة. كما شارك في الهجوم على حصن كابرونا التابع لمقاطعة بيزا، وأبلى البلاء الحسن. انتخب دانتي في شهر حزيران (يونيو) من عام 1300 ليكون أحد الرؤساء الستة الذين يحكمون مدينة فلورنسا، إلا أنّ اضطراب الأحوال السياسية والدسائس والفتن في المدينة جعلت البابا بونيفاتشو الثامن يستدعي دانتي إلى روما ويستبقيه فيها خشيةَ قدرة دانتي على هزّ معتقدات الرجال، وزعزعة مخططات شارل دو فالوا، شقيق فيليب الرابع ملك فرنسا، المتحالف مع البابا للسيطرة على فلورنسا غصباً. حُكم على دانتي ظلماً عام 1302 بالنفي عن فلورنسا، بتهمة العصيان والتمرد، مع تهديد مباشر بإحراقه حياً وجعل بيته وممتلكاته غنيمة للعامة لو فكّر في العودة.

كان زملاء دانتي في المنفى غير متجانسين مع روحه وطباعه، فتنقّل بين مدن أريزو وبولونيا وفيرونا ولونجيانا وفورلي وباريس، إلا أن فترة المنفى تلك كانت خصبة من الناحية الأدبية، فكتب «البلاغة العامية» عام 1304 و«الوليمة» ما بين 1304 و 1307، وهو كتاب بمثابة دائرة معارف يجمع ما بين الفلسفة والشعر باللغة الإيطالية المستخدمة في الحياة اليومية. لم ينجح دانتي في العودة من منفاه، إذ أصدرت حكومة فلورنسا قراراً جديداً بقطع رأسه مع أبنائه عام 1315، فانهى طباعة «الجحيم» و«الفردوس» من «الكوميديا الإلهية» في أوائل عام 1320 في رافينا، التي أرسله أميرها لمفاوضة البنادقة الذين منعوه من العودة بحراً. ويرجّح أنه أصيب بالملاريا عند عودته إلى رافينا عن طريق البرّ، ليقضي نحبه في ليلة باردة من أيلول (سبتمبر) عام 1321. بعدما جابت شهرة دانتي الآفاق، اخذت فلورنسا التي نفته واضطهدته، بالمطالبة باسترداد جثمان «الابن الضال»، الذي لا يزال يرقد لغاية اليوم في تراب رافينا التي حرسته ككنز ثمين.

## «الكوميديا الإلهية»... العوالم الثلاثة

نشأت الفكرة الأولى لـ«الكوميديا الإلهية» من دون ريب بهدف تمجيد بياتريشي وتخليدها، وفاءً للنذر الذي قطعه دانتي في نهاية «الحياة الجديدة»، بأن يقول في محبوبته ما لم يُقل قط في أي امرأة أخرى. نشأ الجدل حول تواريخ تأليف هذه القصيدة الكبرى، التي يُحتمل أن دانتي قد بدأ جزأها الأول نحو عام 1307. أما الجزء الثاني، فقد أكمله قبل عام 1316، وكتب الجزء الثالث ما بين عام 1316 وعام 1321، وقد أطلق على المؤلَّف اسم «الكوميديا». ولو أن العنوان يبدو غير مناسب تماماً للمتن الذي يكتسي صبغة رؤية قاتمة غاضبة ومريرة ومرعبة، لكن يجب التذكير بأنه في عصر دانتي فقدت كلمتا «تراجيديا» و«كوميديا» صفتهما الدرامية. سرعان ما أدركت إيطاليا عظمة «الكوميديا»، فأضيفت إليها صفة «الإلهية»، وقد أضافها لودوفيكو دولتشي في مقدمة كتبها لـ«الكوميديا» عام 1355 متأثراً بفقرة من كتاب بوكاشيو عن حياة دانتي، وظلّت معروفة بهذا العنوان عبر القرون حتى يومنا هذا. تتبدى الكوميديا رحلة حافلة بالرؤى خلال العالم الآخر. ومن بين الأرواح التي تفلت من طوفان الزمن، نرى صورة الشاعر الشامخ بكبريائه ووجهه المتجهم، يجوب الآفاق ساخطاً ومناضلاً في سبيل قيم الحق والخير والجمال.

تنقسم «الكوميديا الإلهية» الى ثلاثة أجزاء: الجحيم والمطهر والفردوس. ويتكون كل جزء من ثلاث وثلاثين أنشودة، وهناك أنشودة إضافية صدّر بها دانتي «الجحيم» كمقدمة له، فتصبح كلها مئة أنشودة، أي مربّع رقم عشرة، وهو العدد الكامل، ورمز الوحدة واللانهاية في العصور الوسطى. كان دانتي قد عاش جغرافيا عالم ما قبل اكتشافات كريستوف كولومبس، فعرف من كوكب الأرض نصفه تقريباً، وكان يعتقد أن الماء يغمر النصف الجنوبي من الأرض. لذا لم يشذ التصميم الهندسي لـ«الجحيم» و«المطهر» و«الفردوس» عن هذا التصور: تحت القشرة الأرضية، تنفتح في نصف الكرة الشمالي وأسفل أورشليم نفسها هوة سحيقة مخروطية الشكل تمتد تحت العالم الدنيوي حتى مركز الأرض، وقد تسبب في هذه الحفرة سقوط لوتشيفيريو الملاك المتمرد من السماء إلى الجحيم، وهو يوجد مثبتاً في قاع هذه الهاوية. الأراضي التي تحركت في أثناء سقوط لوتشيفيريو تجمّعت في نصف الكرة الجنوبي، لتكون جزيرة فوقها جبل شامخ مخروطي الشكل، المطهَر، الذي يوجد على قمته الفردوس الأرضي، وكان يقع في منتصف المحيط الواسع المجهول الذي يغمر النصف الجنوبي من الأرض قبالة مدينة أورشليم المقدسة.

يوجد الجحيم داخل الهاوية التي تمتد على شكل تسع مصاطب أو حلقات مشتركة في المركز، عارضةً مروحة متنوّعة من صور المناظر الطبيعية والأنهار والبحيرات والغابات المظلمة والصحارى، ويتوزّع الهالكون في هذه الحلقات بحسب جسامة خطاياهم. أما المطهر، فيقع حول الجبل المخروطي الشكل الموجود في نصف الكرة الجنوبي، وتوزّع الأرواح على الأفاريز المنحوتة التي تحيط بجوانب المخروط، فهناك سبعة أفاريز تطابق الخطايا السبع المميتة، وبإضافة مدخل المطهر والفردوس الأرضي، نعود إلى رقم 9 الذي يهيمن مع الرقم 3 الذي يهيمن على الأسلوب المعماري لـ«الكوميديا» كلها، وتتصل المملكتان بأنبوبة تؤدي من قاع هاوية الجحيم إلى جزيرة المطهر في نصف الكرة المقابل. أما الفردوس، فيوجد في السماء، حيث تدور تسع كرات في مدارات تزداد اتساعاً وسرعة حول الأرض الثابتة طبقاً لنظام بطليموس، وهي تتكون من الكرات السبع في النظام الفلكي القديم مرتّبة كالآتي: القمر، عطارد، الزهرة، الشمس، المريخ، المشتري، زحل ثم سماء النجوم الثابتة؛ والتاسعة هي السماء البلورية غير المنظورة أو سماء المحرّك الأول. أما في النهاية، وأعلى هذه الكرات، فيوجد الأمبيريو أو سماء السماوات حيث يتألق النور الإلهي.

تنتهي أجزاء «الكوميديا» الثلاثة بلفظ «النجوم» رمز الأمل، فنهاية الجحيم هي «عندئذ خرجنا منها فشاهدنا ثانية النجوم»، والمطهر ينتهي بقوله: «وصرت طاهراً مؤهلاً للصعود إلى النجوم». وفي نهاية «الفردوس»، يقول: «بالمحبة التي تحرك الشمس وسائر النجوم».

## دانتي والإسلام: العلاقة الملتبسة

لم يشذ دانتي في موقفه من الدين الإسلامي عن التصورات القروسطية عنه؛ إذ إنّ «الكوميديا الإلهية»، ـ تحديداً في المقطع الثامن والعشرين من «الجحيم» الذي حُذف من الترجمات العربية ـ تصوّر النبيّ المغربي، في الوادي التاسع، «وأحشاؤه تتدلى بين ساقيه»، وابن عمه (علي بن أبي طالب) وهو «يمضي باكياً، مفلوع الرأس من هامته حتى ذقنه». يمكن قراءة هذا الموقف العدائي لدانتي من آخر الأديان التوحيدية على ضوء رؤية معقّدة هي مزيج من الجهل بصورة النبي والإسلام ومن التصورات النشورية الدينية الشعبية؛ إذ كان الحس الأوروبي المسيحي الوسيط مشبعاً بترقب يوم القيامة، ولم يتم النظر الى انتصارات الإسلام «الدنيوية» إلا على ضوء موشور بعض رؤى العهد القديم ونظرية المسيح الدجال والفكرة البيزنطية عن نبي العرب، وكذلك كانت الصورة التي تكوّنت لدى الغربيين عن طبيعة الإسلام وشخصية نبيّه في النصف الأول من القرن الثاني عشر الميلادي نتاج الانتصار الأول للفرسان الصليبيين. وقد جمعت اجزاء هذه الصورة في جنوب فرنسا، وأسهم في تركيبها في الغالب الفرسان العائدون من حملات الشرق، والكهنة والرهبان ممّن لم يعرفوا جبهات القتال عن كثب. كان هؤلاء يزوّدون المخيلة الأوروبية أمام مواقد النار في الشتاء بطرائف عن الشرق والإسلام والنبي. ويقول هذا التصور بوثنية إسلامية فظيعة قوامها ثالثون إلهاً، وإلهتها الأساسية فراكتوس وأبَولو ومحمد، ووصلت هذه الصورة الخيالية المتكوّنة إلى المدارس والأديرة الوسيطة، بعد وضعها في شكل مدرسي يشجع على قبولها. أدى ذلك في النهاية إلى انطباع شعبي مرؤع وعجيب في قدرته على البقاء، ومقاومته لكل المعلومات الصحيحة ونصف الصحيحة التي توالت في ما بعد. يضاف إلى ذلك الاختلاف الواضح بين القطبين، في جانب الحياة الاجتماعية والتمايز في الميراث الحضاري؛ فعندما تهاوت حضارة العالم القديم، كان الإسلام الوارث الرئيسي للعلم والفلسفة الإغريقيين، في حين ورث الغرب المتبربر الثقافة الرومانية.

على المقلب الآخر، يبدو أن دانتي كان مطلعاً على الأقل على اثنين من أمهات الكتب التي أنتجتها الثقافة العربية والإسلامية؛ إذ يشير المستشرق الاسباني ميغيل اسين بلاثيوس، في كتابه «أثر الإسلام في الكوميديا الإلهية»، إلى أن الأدب الإسلامي يزوّدنا بحلول لكثير من الألغاز التي تحيط بأصل «الكوميديا الإلهية»، وعلى الأخص في كتاب «الفتوحات المكية» لمحي الدين بن عربي، حيث تتقاطع التصميمات الهندسية لبناء الجحيم والفردوس، والصورة الزاهية لحياة النعيم التي يحياها المنعّمون في الجنة، وتجلّي النور الإلهي بين المؤلَّفَين، وأوجه التشابه لا تقتصر على النهل من مدرسة ابن مسرّة الإشراقية فحسب، بل تمتد إلى الصور التي يتم بها ترميز الأفكار والمعاني الأدبية التي تحملها هذه الأفكار. الكتاب الثاني الذي يمكن أن يكون دانتي قد اطّلع عليه هو «رسالة الغفران» لأبي العلاء المعري، فهل تأثر دانتي برهين المحبسين؟ لا تبدو الإجابة بديهية عن السؤال، إذ إنّ الباحث والمفكر المغربي عبد الفتاح كيليطو، في مقالة بعنوان «منامات المعري»، يرى أن المعري قد تأثر بدانتي، رغم أسبقية أعمى المعرّة زمنياً على شاعر فلورنسا! «هذه المقارنة، في رأي معظم الباحثين، لا جدوى منها، لأن دانتي لم يكن في وسعه الإطلاع على «رسالة الغفران» التي لم تترجم إلى أي لغة، بل لم تحدث حتى في الأوساط الأدبية العربية نقاشاً من شأنه إثارة فضول الإيطاليين أو غيرهم من الأوروبيين. إلا أن عملية التقريب بين العملين، كان لها مفعول سحري مباشر، إذ أخرجت «الغفران» من عزلتها الطويلة، ورفعت من ثمنها لدى فئة واسعة من المتابعين العرب وغير العرب، إلى حدّ أنه يمكن القول من دون مبالغة إن دانتي أثّر في المعري، أجل، كتب دانتي «الكوميديا الإلهية» ثلاثة قرون بعد «الغفران». مع ذلك، فإن تأثيره واضح في نظرتنا إلى مؤلف المعري وطريقة تناولنا له. إننا نقرأه باحثين في صفحاته ومنقّبين في أرجائه عن دانتي! لم يعد بإمكاننا تناوله كما تناوله القدماء، وبالأحرى كما نظر إليه المعري. في «رسالة الغفران» لا يلتقي ابن القارح بالشعراء العرب فقط، بل أيضاً بالشاعر الإيطالي. إن دانتي حاضر في كل مشهد منها، والحوار بينه وبين المعري لا يتوقف لحظة. لم نعد قادرين على قراءة الغفران بمعزل عن الكوميديا». كما يرى بعضهم أن دانتي لا بد أنه قد اطلع على معراج النبي العربي من كتاب أبي قاسم القشيري.

**المراجع:**

- «أثر الكوميديا الإلهية لدانتي في الفن التشكيلي»- غابرييل وهبي - الهيئة المصرية للكتاب.
- «صورة الإسلام في العصور الوسطى» - ريتشارد سوذرن - ترجمة رضوان السيد - معهد الإنماء العربي.
- «أثر الإسلام في الكوميديا الإلهية» - ميغيل أسين بلاثيوس - مكتبة الخانجي.

«دانتي قارئاً «الكوميديا الإلهية»» (1465) لدومينيكو دي ميشيلنو

### الترجمات العربية

نُقلت الكوميديا الإلهية الى العربية بترجمة أولى عام 1926، أنجزها اللبناني عبود أبي راشد نثراً عن الإيطالية، ثم أنجز المترجم حسن عثمان النسخة الأكثر اكتمالاً وشهرة عام 1949، بترجمة جبارة استغرقت عشر سنوات، وصدر أول أجزائها عن «دار المعارف» عام 1959. كما أنجز الشاعر العراقي كاظم جهاد بمنحة من الأونيسكو ترجمة لـ«الكوميديا» عام 2002 صدرت عن «المؤسسة العربية للدراسات والنشر»، إضافة إلى ترجمة للمصري عبد الله النجار عن «دار مداد» عام 2018. كما برزت طبعات متفرقة وغير مكتملة للأردني أمين أبو شعر والسوري حنا عبود. قامت «دار المدى» (بغداد) أخيراً (2021) بطباعة ترجمة حسن عثمان في حلّة أنيقة، (مراجعة من المترجم السوري معاوية عبد المجيد)، فيما تعكف «منشورات المتوسط» (إيطاليا) على تحديث نسخة عثمان عبر لجنة تضم كوكبة من المترجمين العرب والأجانب.

شذرات

# في مسألة الجميل والذوق

**لوك فيري**

تقديم وترجمة: **عزالدين بوركة**

يُعد الفيلسوف الفرنسي لوك فيري (1951ــ Luc Ferry) من الفلاسفة الغربيين المعاصرين الأكثر شيوعاً وتأثيراً، وقد شغل منصب وزير التربية والتعليم في فرنسا في عهد رئيس الوزراء جون بيير رافاران ما بين 2002 و2004. وهو من بين الفلاسفة الجدد الذي أحدثوا تحولاً في مسار الفكر الإنساني المعاصر، إلى جانب كلّ من أندري كومت-سبونفيل وميشال أونفري، متأثراً بفلسفات متعددة لمن صاحبهم أو تأثر بهم أمثال نيتشه، ودريدا، وفوكو ودولوز.

لا تتمتع كتابات لوك فيري بنسقية معينة تضع فكره في خانة فلسفية أو فكرية معينة، بقدر ما تعد «فلسفته» متجددة، تسعى إلى القبض على روح الإنسان المعاصر بكل تمفصلاته، سعياً منه إلى رسم معالمه ومعالم العالم الذي يعيش فيه، لهذا لم يتوانَ، في كتابه «تعلم الحياة»، عن اعتبار الفلسفة «عقيدة للخلاص»، لخلاص هذا الإنسان المعاصر، واضعاً أصبعه على مكامن الخلل والانزياح والتجدد عبر مؤلفاته المتعددة بدءاً من «مقال في مناهضة الإنسية المعاصرة» (1985)، حيث ينتقد الفكر الفلسفي السائد، ليُصدر من بعدها كتابه «النظام الإيكولوجي الجديد»، ثم أحد أهم مؤلفاته وأكثرها جدلاً «الإنسان-الإله أو معنى الحياة».

لم يقتصر توجه لوك فيري الفلسفي على نقد ودراسة الإنسان المعاصر، بل سعى أيضاً للاهتمام بالجانب الفني والإستتيقي (الجمالي) الذي يرى بأنه منطلق مهم لفهم الذات الإنسانية؛ فكما هو معلوم، مع ميلاد الفلسفة الإغريقية، صاحبها نوع من التفكير حول الجمال الطبيعي، كما الفني. فلم ينفصل قط التفكير الإنساني عن التفكير في الجمال والجميل. وإن انتظرت البشرية إلى حدود انعطافات القرن 18، حيث سيحظى الفن باستقلالية فلسفية، فالأمر عائد لثورتين قلبتا تاريخ الفن، وكان لهما أثرهما البليغ على فلسفة الجمال. من هنا، يسعى لوك فيري في مؤلفه «ميلاد الاستتيقا ومسألة معايير الجميل» إلى البحث عن إعادة تتبع لحظات الفن الثلاث العظيمة في الفكر الغربي منذ الإغريق إلى يومنا هذا. في العصور القديمة، تم تعريف العمل الفني وفقاً لمعيار الموضوعية. لقد تم تكليفه بمهمة محددة ودقيقة: أن يعكس النظام العظيم للكون. أما في القرن السابع عشر وحتى القرن التاسع عشر، كانت المشكلة هي التوفيق بين الذاتية، أي فكرة أن العمل يجب أن يرضي الإحساس، مع المعايير الكلاسيكية للجمال. أدى هذا إلى ولادة الجماليات في القرن الثامن عشر، لينتهي الأمر في النهاية إلى «الفردية المتطرفة» – كما يسميها لوك فيري - التي ينادي بها الفن المعاصر.

وقد سبق لهذا الفيلسوف أن تطرق إلى فلسفة الفن في مؤلفه الضخم «الإنسان الاستتيقي» Homo Aestheticus، سنة 1990، حيث يذهب إلى معالجة المباحث الفلسفية الجمالية الكبرى التي أطرت التفكير الغربي حول الجميل والجمال من فلسفة أفلاطون وبومغارتن وهيغل وكانط ونيتشه وشوبنهاور وغيرهم، بالإضافة إلى ميلاد مفهوم الذوق وعلاقة التجسيد والروحاني في العمل الفني ومواضيع أخرى. غير أن إعادة نشره لهذا الكتاب الصغير «ميلاد الاستتيقا»، سنة 2013، كانت غايته كما يقول: «رغبة في إعادة كتابة هذا الكتاب (أي الإنسان الاستتيقي) بطريقة تجعله مقروءاً من قبل غير المتخصصين في الفلسفة، وعامة الناس». في هذا العمل، حاول تلخيص مجمل فكره وفلسفته حول مفهوم العمل الفني ومفاهيم إستتيقية شائكة على طول التاريخ، بشكل مختصر وموجز، كالتجميل والجمال والحداثة والمعاصرة والذوق. أما بخصوص ميلاد الإستتيقا، حسب لوك فيري، فالأمر عائد لثورتين قلبتا تاريخ الفن، وكان لهما أثرهما البليغ على فلسفة الجمال. من هنا، يسعى لوك فيري في مؤلفه «ميلاد الاستتيقا ومسألة معايير الجميل» إلى البحث عن إعادة تتبع لحظات الفن الثلاث العظيمة في الفكر الغربي منذ الإغريق إلى يومنا هذا. في العصور القديمة، تم تعريف العمل الفني وفقاً لمعيار الموضوعية. لقد تم تكليفه بمهمة محددة ودقيقة: أن يعكس النظام العظيم للكون. أما في القرن السابع عشر وحتى القرن التاسع عشر، كانت المشكلة هي التوفيق بين الذاتية، أي فكرة أن العمل يجب أن يرضي الإحساس، مع المعايير الكلاسيكية للجمال. أدى هذا إلى ولادة الجماليات في القرن الثامن عشر، لينتهي الأمر في النهاية إلى «الفردية المتطرفة» – كما يسميها لوك فيري - التي ينادي بها الفن المعاصر.

وقد سبق لهذا الفيلسوف أن تطرق إلى فلسفة الفن في مؤلفه الضخم «الإنسان الاستتيقي» Homo Aestheticus، سنة 1990، حيث يذهب إلى معالجة المباحث الفلسفية الجمالية الكبرى التي أطرت التفكير الغربي حول الجميل والجمال من فلسفة أفلاطون وبومغارتن وهيغل وكانط ونيتشه وشوبنهاور وغيرهم، بالإضافة إلى ميلاد مفهوم الذوق وعلاقة التجسيد والروحاني في العمل الفني ومواضيع أخرى. غير أن إعادة نشره لهذا الكتاب الصغير «ميلاد الاستتيقا»، سنة 2013، كانت غايته كما يقول: «رغبة في إعادة كتابة هذا الكتاب (أي الإنسان الاستتيقي) بطريقة تجعله مقروءاً من قبل غير المتخصصين في الفلسفة، وعامة الناس». في هذا العمل، حاول تلخيص مجمل فكره وفلسفته حول مفهوم العمل الفني ومفاهيم إستتيقية شائكة على طول التاريخ، بشكل مختصر وموجز، كالتجميل والجمال والحداثة والمعاصرة والذوق. أما بخصوص

6.

مَثَّل الفن الصباغي الهولندي أوّل فن إنسانيّ humaniste ولائكي، لم يعد يسعى إلى تمثيل المتعالي الكوني أو السماوي، لكنه سعى إلى تمثيل جوهر الإنسانية.

7.

يهدف الفن المعاصر، كما صاغ ليوتار ذلك، إلى إبراز وجود اللاّمُمثّل، أي إلى عرض أو إعمال كل ما من شأنه تحرير عملية تفكيك أوهام الميتافيزيقيا واللاهوت: اللاعقلاني، اللاواعي، الاختلاف، الجسد، الجنس..

8.

لم يعد يُعرّف الجميل، بالنسبة للفنانين الحداثيين، على أنه خاصية جوهرية للموضوع، ولكن على أنه ما يؤثر على الحساسية أو الذاتية.

9.

بينما نتجه صوب الفن المعاصر، يُصبح العمل الفني تدريجياً، أقل أهمية من مؤلفه.

10.

الفنان العبقري هو ذلك الشخص الذي يستطيع إثبات قدرته على تحويل خصائص فولكلورية معينة إلى إبداع قادر على لمس الكوني والتحدث إلى العالم بأسره. يمكننا أن نعرّف مُوتسارْت في أعماق الصين والهند.

11.

من النادر جداً سماع الناس يردّدون: «مُوتسارْت فاشل» أو «باخ فاشل». يوجد، في واقع الأمر، نوع من كونية الأعمال العظيمة.

12.

من المفارقة أن الإجماع على الأعمال الفنية العظيمة أكبر من الإجماع على النظريات العلمية.

13.

في الفنون التقليدية، كان من الضروري تقليد ما تم القيام به دائماً، حيث يُحظر الإبداع تقريباً.

14.

منذ اللحظة التي اعتبر فيها الفنان عبقرياً واعتبرت الأصالة أمراً حتمياً، أصبح التقليد خطيئة كبرى. فتم الابتعاد عن المنطق القديم المتمثل في التقليد المتكرر للتقاليد والعادات.

15.

لم يعد سؤال ما هو الجميل مبدأ متفوّقاً على الإنسان، بل إنه بهاء الإنسان في حد ذاته.

* المصدر: لوك فيري: «ميلاد الإستتيقا» Luc Ferry: La naissance de l'esthétique et la question des critères du beau, éd. Le figaro & Le Point, Paris 2013.

وارهول ــ «مونالزا» (أكريليك، 1963)



قصة

# عند بائع البهارات

**حسين السكّاف ***

أن تكتب رواية عن رجل رشيق القوام، دائم الابتسام، شاحب الوجه، أسمره، يعمل بائعاً للبهارات في سوق شعبي لم يدخله أغنياء مدينة مراكش من قبل، قد يكون عملاً ممتعاً تعيش عوالمه الساحرة لعام أو أكثر.

أن تستقبلك روائح حادة لمزيج هائل لا تعرف سره، تأخذك صوب مدن وبلدان بعيدة لم تزرها من قبل، حين تشرع بالدخول إلى بيت الرجل بائع البهارات، لتعيش معه أياماً معدودات طمعاً بمعرفة المزيد عن تفاصيل حياته... تأكل مما يأكل، وتتذوق شرابه الساخن الممزوج بـ «الشيبة والنعناع»، وتقضي معه وقت فراغه على طريقته هو، وأن تلتحف بغطاء يستعيره الرجل من جارته العجوز التي فقدتْ زوجها منذ قرابة النصف قرن... ورغم ذلك تتلمس عظامك برد ليل منطقة «دوار العسكر» الضاحة بالكلاب السائبة ليلاً، وأنت تستمع لحكايات الرجل عن الامه التي غادرها زمنها ولكنها بقيت عالقة بين تلافيف روحه... قد تمنحك شحنة إنسانية ربما تهيئ الفرصة لتذرف دمعة ظلت عصية عن الهمول سنوات ليست بالقليلة.

أنْ تعرف أنّ الرجل لا يعرف آباء، ولم يلتقِ بأمراة تدّعي أنها أمه من قبل، وأنه منذ كان صغيراً عاش وعمل مع رجلٍ كان بائعاً للبهارات في سوق «دوار العسكر» الشعبي بمراكش، وقد ارتضى بمنزلة المُريد بعد أن اتخذ من الرجل شيخاً له، لكن الشيخ فارق الحياة محمولاً داخل صندوق رخيص بعد أن زوّج مُريدَهُ الفتى، من ابنته الوحيدة العمياء التي كانت «السبب» في موت أمها أثناء الولادة... يرث الشاب الفتي وزوج الفتاة العمياء مهنة الشيخ وكل ما خلفه له من أدوات ومواد في ذلك المكان الملفّق الذي يعرفه أغلب البسطاء الساكنين قرب السوق العشوائي التكوين، ليكون بذلك الوحيد الذي يمتهن بيع البهارات في المنطقة... قد يجعلك تسأل وبإلحاح عن الزوجة العمياء التي لم تلحظ لها أي أثر داخل الخربة التي يعيش تحت سقفها الخشبي الرجل بائع البهارات.

وحين تعرف أن الزوجة العمياء قد اختفت في يوم قائض، حيث لم يجدها زوجها بائع البهارات داخل الخربة أو ما يسميه البيت، وأنه بحث عنها طويلاً ولم يستدل على أي أثر لها، وأنه ترك البحث عنها بعد أن كلت قدراته وقرر عاجزاً بالاكتفاء بانتظارها علها تعود يوماً ما... قد تمنح مخيلتك فضاء أوسع لتنسج قصة تليق بقدرتك الروائية ومهارتك السردية التي طالما اعتقدتَ بأنها أكثر مما يميز كتاباتك...

ولكن، حين تعرف أن هناك من غَرَز بالزوجة العمياء، وأوهمها تحت غطاء الحب بأنه عازم على انتشالها من الفقر حيث قرر («أن يحملها على ظهر جواده الأبيض» ليُسكنها في قصر لا ينقصه الخدم، ثم يصطحبها بعد أن تفلح حيلهُ باستمالتها، بعيداً حيث أقصى الشمال ليدخلها عالم الشحاذة ويجني من ورائها الأموال وهي تجوب الشوارع والمقاهي والمطاعم من الصباح حتى ساعة متأخرة من الليل، تستجدي البشر قطعة نقود... ثم تعرف أن المحتال قد أعاد المرأة العمياء خفية بعد أكثر من سنتين، إلى مدينتها حيث سوق «دوار العسكر»، ليتركها هناك بعد أن يأمرها بالاستمرار في الاستجداء حتى يعود إليها بالطعام... كعادتها تمتثل المرأة لأوامر الرجل الذي قرر التخلص منها إلى الأبد، ليعود شمالاً صوب أمواله التي جمعتها له العينان المطفأتان ودموعهما المصحوبة بالتوسلات... تدخل المرأة حاملة جوعها إلى السوق دون أن تعرف أين هي... تستجدي المارة بصوتٍ متعب، وما هي إلا خطوات قليلة حتى صارت قبالة زوجها بائع البهارات الذي شهق مفزوعاً وهو ينظر صوب حفرتي عينيها ليهرع صوبها بعد نوبة ذهول هزّت كيانه الهزيل... احتضنها محاولاً إخفاء ملامحها عن من في السوق درءاً للفضيحة، ليعيدها إلى خرابته سريعاً ويستفسر منها بصوت لا ينقصه الفزع والذهول عن سبب غيبتها... هناك حيث الخوف وارتعاشة الجسد، كانت المرأة تعيش دوامة عدم التصديق، وكانت تحاول بشرود واضح لملمة ذهنها المشتت لتعي حقيقة الموقف، ولكن ما أن تشعر بجدية الوضع الكارثي الذي صارت عليه حتى تشرع بسرد حيثيات قصة غيابها بكل صدق، دون أن تفارقها دموعها... حينها تتلمس مخيلتك جمالية الحدث الدرامي الهائل الذي سيمنح مشاهد روايتك إيقاعاً هائلاً من الدراما الروائية المؤثرة.

لكنك حين تعرف أن المرأة العمياء قد ماتت منتحرة بعد أن سكبتْ قنينة نفط على جسدها واقتربت من الموقد الوحيد المنتصب في إحدى زوايا الغرفة الوحيدة للدار، لتلتهم النيران جسدها المتعب الذي كانت معجبة بتفاصيله وهي تراه بأصابعها...

حينها ستهرب خوفاً من أن تلتهمك نيران النص الكارثي الغارق بالمأساة تاركاً مشروع روايتك إلى الجحيم، كونها ستكون مملة غارقة بالمأساة لا أمل فيها غير البؤس والحرمان وغرائبية حياة لم تفهم منها غير اللوعة والألم، رواية ينقصها فسحة استرخاء يكون القارئ بأمس الحاجة إليها...

ذلك ما كان يدور بذهن الشاب الذي طالما حلم ومنذ أعوام، بكتابة روايته الأولى، حين راحت مخيلته تنسج أحداث رواية وهو ينظر بإمعان صوب بائع البهارات المبتسم على الدوام، والمنتصب بقامته الممشوقة وسط سوق «دوار العسكر» بمراكش.

* العراق/ كوبنهاغن

ميشيل سيريلّو ـ «مراكش 5» (2016)

# الدكتور

**الأمين الخمليشي ***

إنه الآن يعمل فيها ما يعمل. يدخل فيها ما يدخل ويخرج ما يخرج. فخذاها مفتوحتان وهو يطلب من المرضة وضع السطل في المكان الملائم. وفكر خيرون وهو يتأمل أعشاب حديقة العيادة وميلاد أضواء الليل هنا وهناك: تصور أن تكون مكانها، ولمَ لا؟ ألست طرفاً في ما حدث ويحدث؟ فتصور أن تكون مكانها والدكتور يلعب فيك بادواته الغريبة، وهي في مكانك تدخن وتتأمل أعشاب الحديقة وميلاد أضواء الليل. جاءته الفكرة مضحكة بعض الشيء، ثم انساق مع أفكار أخرى ما لبثت أن أوصلته إلى أن المسؤول عن كل شيء هو الله. وخُيّل له أنه يسمع صراخاً خافتاً، صراخها، يصل إليه من الغرفة الغامضة. لعله، في هذه اللحظة بالذات، يقتلع من داخلها الغامض آخر ما كان يمكن أن يصبح، بعد بضعة أشهر. لو بقي حيث هو، مثلك تماماً، لَما كان عمرك بالضبط تسعة أشهر، قبل أن يسموك خيرون. ولأول مرة، أدرك خيرون وهو يمشي ويجيء داخل الحديقة الصغيرة للعيادة، غير مبالٍ بالقطرات المتفرقة التي كانت تسقط على وجهه من وقت لآخر، بأن عمر الإنسان الحقيقي، خلافاً للحساب الشائع والرسمي، يجب أن تضاف إليه دائماً تلك الشهور التسعة المنسية، التي تسبق رؤية صاحبها لـ «النور» ومرة أخرى خيل له أنه يسمع نفس الصرخة الخافتة. إنه صوتها بالتأكيد، يستحيل عليه ألا يميزه. لكنه سرعان ما اقتنع. يستحيل أن يكون ذاك صوتها. مستحيل أن تشعر بالألم. ذلك أنهم قبل الشروع في عمل أعمالهم، يكونون قد بنّجوا البنج الكافي، وعندئذ، حتى لو ذبحوها بمنشار حاد فلن تشعر بأي شيء، بالعكس البنج يوحي لها بالأشياء مقلوبة، فلا شك أنها الآن والدكتور يدخل ويخرج منها أشياء غريبة، تشعر بلذة، لذة تفوق بكثير اللذة التي أوصلتها إلى حيث هي الآن.

هذه الأمور أصبحت اليوم سهلة ومريحة مثل عملية تقليم الأظافر، أو تحسين الرأس، مجرد يوف، يوف، وها أنت واقفة على رجليك، أخف وأصح من بغلة. وقالت: هذا ما تقوله أنت، ولكني أعرف أكثر من واحدة خسروا لها الرحم نهائياً، ثم إني أريد الاحتفاظ به، أريد أن أحتفظ به، أذهب أنت والعائلة والجميع إلى الشيطان أنا مستعدة أن أعيش بدونكم جميعاً وأعيش معه وحده.

طوال أسبوع وهي تبدو مصممة العزم على الاحتفاظ به، أو بها. لكنه كان واثقاً من خضوعها في النهاية: سننجب بعده آخرين كثيرين، وسنتزوج في الصيف، فكانت ترد: هكذا قلت في المرة الأولى. وتصر، فيرد، وتبكي، فيحاول إضحاكها، ويقسم بشرفه. في المرة الأولى كان الأمر أسهل، إذ كانت الأمور لا تزال في بدايتها، واكتفت الدكتورة بإعطائها بعض الإبر، غير أنها كانت إبراً مسمومة، قالت، فما أن غرزت في الإبرة الثانية حتى أخذت أشعر بألام غريبة وحادة، وكلما خرجت من المرحاض عدت إليه، حتى خرج مني ذلك الشيء الغريب: ما يشبه بيضة صغيرة. هل رأيت رحم دجاجة مذبوحة فيها بيض صغير، ذلك تماماً ما خرج مني، ولما ثقبته، انفش مثل صديد أو بيضة في بدايتها. ثم تبعته أشياء دموية تشبه المقانق. أما في هذه الحالات فالدكتور أحسن من الدكتورة بشهادة أكثر من واحدة.

وتوقفت سيارة أنيقة أمام مدخل العيادة، خرج منها رجل فاضل وامرأة هرمة مُجَلْبَبة، تلف رأسها بشال أبيض، وطفلان نظيفان يحمل كل منهما باقة ورد، صعدوا الدرجات القليلة المفضية إلى داخل العيادة، فخرج خيرون إلى الخارج: حي نظيف، هادئ، حسن الإضاءة، حي حسّان، حي الضريح، ضريح محمد الخامس الذي سرق في أحد جوانبه أول بوسة منها، وهما ينتظاهران بالإطلال على قاع الصهريج الفارغ، في الأيام الأولى لتعارفهما. في مثل هذا الوقت تقريباً، بتوقيت ذلك الصيف، إنما المشكلة هي في العودة. هذا الرجل جاء غالباً لعيادة زوجته والمرأة هي والدتها أو والدته أو واحدة من الأقارب والولدان ولداه جيء بهما لتهنئة والدتهما والأخ الجديد. إنما المشكلة هي في العودة. وعاد إلى الداخل، قلت لها مراراً: الكنات أحسن، أضمن، فترد: غير ممكن، لو كنت مستقلة، ممكن، أما الكابّوت فلا معنى له.

وتحكي له قصة عمي الفاسي: ذهب عمي الفاسي عند الطبيب لإجراء فحوص على بوله، المكلف بالفحص لم يكن في نهاره فخلط بول الفاسي ببول السيدات. ولما عاد عمي الفاسي لمعرفة النتيجة قال له الدكتور: حامل في الشهر الرابع فخرج الفاسي، وهو جالس إلى جوار سائقه، قال له: شوف أزْدي ابْغاهيم فلاغتك فين وصلاتنا.. ما كنتش دينما كنْوَلّ ليك اعمل لك كابوت انكليزي؟

طالما نصحتها بعواقب ذلك وبأشياء أخرى، فلم تسمع. فما هو ذنبي أنا؟ وكان يمشي ويجيء مشعلاً سيجارة وراء أخرى في انتظار خروجها في أية لحظة. وعندما شاهد الدكتور بنفس بدلته الرمادية ولحيته القصيرة يهبط الدرجات القليلة لباب العيادة ويقطع بسرعة الممر المعشوشب، بأصابعه القصيرة البيضاء، قاصداً الخارج، هرول خيرون وراءه: – دكتور كيف حالها؟ كان الدكتور قد استقر داخل سيارته وأخذ يضغط على زر، فأخذ الزجاج الخلف، مطلقاً موسيقى كلاسيكية، مرخياً أطرافه في لامبالاة، مبتسماً مع نفسه، مغمضاً إحدى عينيه، مداعباً لحيته:

– صابا، مزيان، بصاح هي زوجتك؟

– نعم، تقريباً، يعني مخطوبين، وسنتزوج في هذا الصيف إن شاء الله.

– مبروك. إنما قبل ذلك لا بد من تحليل دم مشترك. دمها كيسيل شوية.

– شكرا.

وفيما كان الدكتور يعاود إشعال سيجارته، ألقى خيرون ببقية سيجارته على الرصيف وحشر رأسه داخل السيارة:

– دكتور من فضلك هل يمكنني طلب تاكسي من عيادتكم بالتلفون؟ ما عندنيش سيارة.

أجاب الدكتور وهو يجذب نفساً عميقاً من سيجارته، متكئاً إلى المواجه لخيرون يهبط ببطء، حتى إذا ما توسط منتصف النافذة، قال الدكتور:

– صابا، مزيان، بصاح هي زوجتك؟

– نعم، تقريباً، يعني مخطوبين، وسنتزوج في هذا الصيف إن شاء الله.

– مبروك. إنما قبل ذلك لا بد من تحليل دم مشترك. دمها كيسيل شوية.

– شكرا.

وفيما كان الدكتور يعاود إشعال سيجارته، ألقى خيرون ببقية سيجارته على الرصيف وحشر رأسه داخل السيارة:

– دكتور من فضلك هل يمكنني طلب تاكسي من عيادتكم بالتلفون؟ ما عندنيش سيارة.

أجاب الدكتور وهو يجذب نفساً عميقاً من سيجارته، متكئاً إلى

سلفادور دالي ـ «طفلة جيوبوليتيكي يلاحظ ميلاد الإنسان الجديد» (زيت على قماش، 1943).

قصيدة

# وجود مجازي

**رياض ملحم ***

سالتْ دماءُ رصاصتي
مذ أطلقَ الشعراءُ شعراً طائشاً في الجوّ
محتفلين أنَّ قصيدةً قد أنجبَتْنا
توأمين لروحها:
موزونُها الشعريّ توأمُهُ بها مشعورُها النثريّ
يا أيها
إرحمْ طلقةً ماتتْ على دينِ احتكارِ دمائنا
واشفعْ لها لم تستطعْ أنْ تثقبَ القمصانَ فوق مصيرنا
واغفرْ لكلّ رصاصهم..
إذ أنّهم
لا يعلمونْ
ما يفعلونْ
ماتتْ سلالةُ طلقتي مذ آمنتْ بالعيش
كأفرةٍ بخالقها إذا ضغطَ الزنادْ..
على دمٍ
يمضي إلى دين السوادِ يضيئُهُ
ويهرطقْ

الآن ماتَ الظلُّ فوق بلادهِ..
بعضي هناكَ بدونِ كافٍ عند مسطرةِ المكانْ
بعضي هنا مع كافهِ عند اقتسامِ الأرضِ خارطةَ المسافةِ بين قاتليّ الجبانْ
وبين نزفِ الأرجوانْ
لكنّه قلبي عصيّ..
فتبلّلي
بداخليّ..
قرأ عليّ كتابَهُ..
ثقّبَ العظامَ بقامتي
دمجَ الرياحَ بنبضهِ
ثمّ استوى فوقَ الأسى
بالناي يحيا كلّما هرَبَ الهواءُ من الردى
ويئنُّ من وجعٍ برأس القافيةْ
ويُجَنُّ من رؤياهُ إنْ سارتْ
على أرضِ القصيدةِ حافيةْ
لكنّه قلبيَ عصيٌّ لا يموتُ حنانُهُ
يأتيكِ ليلاً حين يجرحُهُ الحنينْ
ويصعدُ المعنى المهيّأ زاحفاً كالماءِ
حتّى تقرئي عطشَ الأنينْ
فتمهّلي
ولتطرقي كلَّ الجهاتِ لتدخلي
كوناً فصيحاً بالسكوتِ
وشاعراً يتموسقُ
كونا فسيحاً بالقنوتِ
وعالماً يتأزرقُ
وتبتسّمُلي
لا شكَّ يرصدُكِ ابتهالُ الياسمينْ
وتدلّلي..
بالخصْبِ والأزهارِ والوحي الأمينْ
فالقلبُ وحلٌ في مياهِ الآخرينْ
فتبلّلي
بكِ قد توضّأ قلبيَ المتعرّقُ..

وعليّ أن أجدَ الوجودَ
لكي أفكَّ قيودَ هذا التيهِ عن كينونةٍ
في الإبجديّاتِ التي تتمنطقُ
فالتائهون الضائعون
تأوّلوا جهةً وبوصلةً تشيرُ إلى الصدى
وحدودَ أغنيةٍ ترنُّ بصمتِها أرضاً
ولا تطأ المكانْ
وتفرّقوا كرذاذِ ماءٍ بعد أنْ كانوا
حشودَ البحرِ في إبريقِ من كسَرَ الدنانْ
والحاضرون الحاضرون
يضيّعونَ وجودَهم
إذ يضمرون
كنهَ الضمير
ويُدخلون ببابِ نيّتهم مفاتيحَ الهلاكْ
حسناً إذن.. إنّ النوايا مأزقٌ
يا للأسى
عدمٌ يدقُّ شعوذنا فوق الصليبِ
ويطرقُ
بالله يا ماهيّةَ التعبيرِ
كيف أقولُ إنّي ضائعٌ وسْطَ الأثيرِ
في اللاهنا واللاهناكْ
أتفرّقُ
لكنّ قلبي فوق مسمارِ الأذى
زرعٌ وأوشكَ يورقُ
لا تقطفوا قلباً مشاعاً عابقاً..
لا تقطفوهُ..
قد يعشقُ

والريحُ ذاتُ الريحِ في كلّ الجهاتْ
إنْ أطلقتْ في الريحِ ريشةُ طائرٍ
وبسرعةِ الطلقاتِ ماذا يختلفُ؟
لا الآنَ لَمّا نكتشفْ
كلٌّ مشى بمسارهِ..
كلٌّ مضى للموتِ من رحمِ الحياةْ
فلنعترفْ..
بالبرزخِ الشفّافِ في سرّ العلنْ
بينَ النوايا والمرايا والذواتْ
ولْيأتلفْ فينا العفنْ
بعضُ التذاكي أحمقْ
هل تُوقفُ الزلزالَ في الصحراءِ قافلةُ الثباتْ؟
قد يصبحُ الريشُ المجنّحُ طلقةً
تتخندقُ
أو طلقةُ العنبِ المصفّحِ ريشةً وتحلّقُ
فلتفتحوا للغيبِ بابَ حضورهِ
ولتخرجوا من ذاتكم للعالمِ المنسيّ أطفالاً
ولا تنسوا خيالَ الآخرينْ
وخلفكم بابُ الأنا أنْ تُغلقوا..

* طرابلس/ لبنان

شفيق عبود ـ «سوف سان بيار» (زيت على قماش، 2002).

بحث

# شهلا العجيلي: جماليات الرواية من المغامرة إلى التجربة

**خليل صويلح**

ترصد شهلا العجيلي في كتابها «الهوية الجمالية للرواية العربية: رؤية ما بعد استعمارية» (ضفاف/ الاختلاف/ مجاز) تشكّلات الرواية العربية جمالياً، والمسافة الطويلة التي قطعتها هذه الرواية منذ منتصف القرن التاسع عشر إلى الألفية الثالثة، وصولاً إلى التجربة الجمالية المحمولة على رافعة النهضة والتنوير والحداثة. تربط الروائية والأكاديمية السورية بين التحوّلات الاجتماعية والثقافية والأنساق السردية في رحلتها الشاقة لبلورة ذاتها بين قوسي المغامرة والتجربة، وإذا بالوعي الجمالي يزداد بريقاً بخلخلة البنى التقليدية، بعيداً عن «صراعات التأصيل والتغريب».

نكتشف حضور الهوية الجمالية ونضجها، كلما ابتعدنا عن المغامرة الأولى وارتباكاتها السردية الهجينة لدى التنويريين الأوائل مثل خليل الخوري، وفرنسيس مراش، وزينب فواز، ومحمد المويلحي. وتلفت صاحبة «سجاد عجمي» إلى أن رؤية ما بعد الاستعمار، تعمل على «تفكيك المجتمعات من الداخل عن طريق حرب الهويات، وإشعال الصراعات بين سياساتها، فتنتج منظمات رديفة إنسانية، واقتصادية، وسياسية، وحركات مدنية، تشرع في عملية التقويض، وتنشئ مجتمعات جديدة أو تدعم دولاً حاضنة تتولى مهام المجتمع الدولي السابق أو مهام الدولة الوطنية، لتشعر الضحايا بالأمان الذي يمكن أن يجدوه بعيداً عن الوطن، وأن الوطن والأنظمة أكثر عداء لهم من الآخر المستعمر». وإذا بالحياة الهجينة مجرد ذكرى تحفظها الحكاية، الحكاية التي ستصبح مادةً للنصّ الروائي الذي سيكون بديلاً «للجغرافيا المفقودة أو الجغرافيا الحلم». هنا تتخذ الرواية صورة التعبير الثقافي عن الأنثروبولوجيا في المقام الأول، المنعطف الأبرز الذي قاد الرواية العربية إلى مطرح جمالي آخر، تجلّى في سرديات العقد الثاني من الألفية الثالثة. تقصد نصوص ما بعد زلزال الانتفاضات العربية، إذ اقترحت نصوص هذه الفترة شكلاً مغايراً للمجتمعات العربية، برفض المرجعيات القديمة لمصلحة «مجتمعات تذويتية، متخيلة أو ديستوبية، أي تصنع مرجعياتها بشكل ذاتي، وتقف فيها الذات ضد التجربة الجماعية للعالم، وأداتها الرئيسية هي التكنولوجيا، كما يصارع الأفراد من أجل الكرامة التي هي فكرة أخلاقية، مقرونة بالديمقراطية، والتي تقف في وجه الاحتكارات التكنولوجية والعلمية، ويؤكد كل نص بطريقته قدرة الذات في اختيار متعالياتها وصنع تاريخها بنفسها، وهذا سينتج هويتها الجديدة». وتتشكل هذه الهوية على أساس «الفردية في الرؤية الجمالية، والخروج من صناديق التيارات والمدارس بمعاييرها الجمالية المتعارف عليها». كما اشتبكت الرواية الجديدة مع أسئلة ما بعد تقويض السلطات الديكتاتورية لجهة «قتل الأب»، وصوغ مرجعياتها ذاتياً كبديل لما سبق.

على الضفة الأخرى، أسهمت دراسات ما بعد الاستعمار في تحقيق عالمية الأدب بخروجه من نطاق اللغة الأم إلى آداب اللغات الأخرى بالتوازي بين الرؤية الإمبريالية والكتابة المضادة لها، ما أنتج أدباً عالمياً، بتضافر التاريخ مع الفضاء الجغرافي لإنتاج إمبراطورية عالمية، فأفرزت المركزية الأوروبية «ثقافة التقاطع»، عن طريق المزج بين «القول الاستعماري عن الآخر من ناحية، وأداب العالم الثالث من ناحية أخرى، بوصفه موضوعاً من موضوعات الدراسة عبر ثلاثة مفاهيم هي: عالمية الأدب، والأدب العالمي، والإمبريالية». هكذا تحقّقت الإمبريالية إبداعياً بالجماليات بفضل «سلطة التشكّلات الثقافية»، وتتسم الكتابة الإمبريالية بربطها فن الرواية بالعالم التاريخي، وعبء الرجل الأبيض، والوصائية، والتماهي مع المستعمَرين، والمعيارية، فيما تتمثّل نصوص ما بعد الاستعمار بالمحلية المرتبطة بتعيين الزمان والمكان: الطيب صالح (موسم الهجرة إلى الشمال)، وعبد الرحمن منيف (مدن الملح)، وإبراهيم عبد المجيد (لا أحد ينام في الإسكندرية)... بالإضافة إلى «الخصوصية الثقافية»، و«التأكيد على التعددية الثقافية» عن طريق الرغبة في تدمير واحدية النسق الاستعماري المسيطر، و«الحنين إلى الصفاء المستحيل»، في «تفكيك التجربة الاستعمارية روائياً»، تلجأ الباحثة إلى قراءة روايات أحمد المديني بوصفها نموذجاً لتقويض الإمبراطورية بسعيه إلى «تكوين هوية سردية للجماعة»، باستحضار حكايات التراث ليفسر من خلاله الراهن، وبمعنى آخر التأكيد على «نوستاليجيا عنيفة»، تقابلها قوة الرغبة في التحديث، مع وعيه بهجنة المجتمع الذي ينتمي إليه، بالإضافة إلى نبذه فكرة الذوبان في ثقافة الآخر، متمسكاً بالخصوصية الثقافية. ولكن ما هي المسارات الثقافية للرواية العربية في الألفية الثالثة؟ تلفت صاحبة «صيف مع العدو» إلى أن حالة الاحتضار الصريحة والإحباط التاريخي التي نعيشها اليوم، منحت الرواية أرضية ليبرالية شاسعة في رسم خرائط سردية تهتك بفعالية المعايير الثقافية والأعراف الراسخة، وتالياً انعتاقها من سؤال الهوية الوطنية والإثنية والدينية نحو مسالك ثقافية جديدة تعنى بسؤال الشرط الإنساني للوجود معرفياً وجمالياً، من خلال الاتكاء إلى سرديات مختلفة، ملحمية ووثائقية ووجودية، تنطوي على وجهات نظر مختلفة باستثمارها مفرزات ما بعد الحداثة من جهة، وانهيار فكرة الرقيب وشخصه من جهة ثانية. في «تحولات الهوية في الرواية العربية»، تتبع شهلا العجيلي انهيار الهوية البيضاء لمصلحة الهجنة الثقافية عبر نموذجين روائيين هما «بابنوس» لسميحة خريس: عن كيفية سحق سياسة ما بعد الكولونيالية الجديدة للهويات القديمة المتصارعة جميعاً لخدمة مصالحها، وظهور عبودية جديدة وإمبرياليات جديدة تحت عناوين إنسانية برّاقة، و«الفردوس المحرّم» ليحيى القيسي التي تذهب إلى فضاء فانتازيا كونية في اختصار الهويات المتشكّلة عبر تاريخ البشرية إلى هويتين متصارعتين، تمثلان مرحلة ما بعد الحداثة، وهما «هوية المستحوذين، والمتمردين»، أو الصراع بين المادة والطاقة.

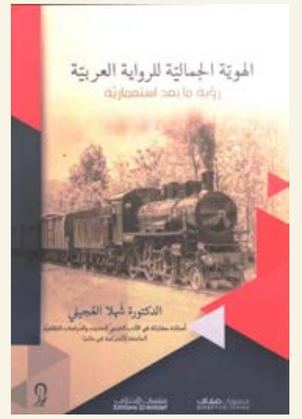

**حالة الاحتضار والإحباط التاريخي السائدة، منحت الرواية أرضية ليبرالية شاسعة**

قصة

# رباب هلال: تفاصيل يومية تنقذ السرد

**تغريد عبد العال**

عندما سئل إدواردو غاليانو عن الواقعية السحرية، أجاب بأنّ الواقع كله سحري، وأنّ النهل منه لا يقتصر على القصص فحسب، بل يتعدّاها إلى الشعر أيضاً. ولكن ربما، لا تكتفي القصة بالتقاط جنون أو سحر الواقع، كأن تكتفي بكونها كاميرا تقبض عليه، بل أحياناً تجعله يتحدث بطريقة مختلفة عنه. وهذا ما يلاحظ في قصص رباب هلال التي صدرت أخيراً عن «دار تكوين»، بعنوان «قومي يا مريم». القصص هنا تجنح نحو تصوير الواقع وتفاصيله في فترة الحرب في سوريا وبعدها، بلغة بسيطة ومنسابة، لتنقل تلك التفاصيل اليومية والعادية من دون أن تفتح نوافذ كثيرة للخيال. كأن هذا الواقع بالنسبة إليها هو اللغة والمعجم. في بعض القصص، استطاعت أن توجد لحظة سحرية وخيالية تطلّ من بين المشاهد، لكن في بعض القصص الأخرى اكتفت بتصوير أحداث يقتنع القارئ بأنّها حدثت بالفعل لتشابهها بين ما نعرفه وما شاهدناه. تكتب رباب القصة كأنها تريد أن توثق مشاعر منسية داخل كتاب كبير اسمه الحرب. لذلك، نجدها تختار شخصيات من محيطها وممن تعرفهم وتجعل من حواراتهم اليومية مكاناً خاصاً ودافئاً في قصصها كأنها تريد لهذه اللغة أن تنتصر، وأن تنافس الخيال والفانتازيا لتكون بذاتها قصة ومشهداً. هذا أحياناً يجعلنا في بعض القصص نتساءل عن «المعنى»، وندرك فوراً أن الكاتبة تريد أن «تنقذ» اللحظات الإنسانية في هذه الظروف، فتصبح هي المعنى وهي اللغز.

في قصتها الأخيرة «قومي يا مريم»، تختار الكاتبة أن تجعل أبو السعيد الثمانيني ينادي زوجته النائمة والمريضة «قومي يا مريم»، ويقول لها: «عليك أن تأخذي الدواء»، كل تلك الجمل التي تبني عليها الكاتبة القصة، هي ما تتكئ إليه في سردها. فهي تريد لهذه اللغة المحكية أن تكون أداتها في بناء مشاهد نادرة، ولكنها أحياناً تغرق في تفاصيل هامشية مثل قصة «لو تمسك بي يدك» التي بنتها على جملة قالها حبيبها في المنجر، لتأتي القصة مثل اعترافات عاطفية وبوح جميل ابتعد ليكون رسالة إلى حبيب. لكن في قصتها الأولى «إنهم هنا»، تتخيل الأم وجود أشخاص في المنزل، ثم تبدأ البنت برؤية هؤلاء الأشخاص يرتطمون بالأرض. هنا ترسم الكاتبة لوحة جميلة عن الهواجس التي تريد أن تبعدها عن أمها فتصاب هي بها. الهواجس التي تصبح جزءاً من اللغة نفسها، لأن الكاتبة تبني قصتها على تلك الجملة فيأتي وصف كل المشاهد مبنياً على تصديقنا لألم أنهم موجودون فعلاً. وهنا في هذه القصة بالذات تنقذ الكاتبة السرد من العادية فيصير غريباً نوعاً ما.

تتنوع هذه الغرائبية وأحياناً تختفي في بعض القصص لتتأمل واقعاً استثنائياً حيث يصبح للحرب قاموس خاص ولغة خاصة كما في قصة «صباح يختلف قليلاً». تدور الأخيرة حول قصة الآنسة نجاة التي ذهبت لشراء حاجاتها من السوق وبدأ الرصاص يلعلع، فقالت كلمة «يلعن». تقول الكاتبة أن هذه الـ «يلعن» اندلعت من الأفواه أثناء الحرب متبوعةً بكلمات عدة، لكن هذه المرة تقولها الآنسة نجاة بشكل مختلف. وتتساءل الكاتبة: كيف لهذه الـ «يلعن» ألا تخرج هائجة كعاصفة؟ وفي نهاية القصة، انبثق صوت آخر يطلق «يلعن»، فتوقف الرصاص. هي علاقة اللغة مع الرصاص إذن. ففي هذه المجموعة القصصية، نلاحظ كم تنتبه الكاتبة إلى سحر اللغة وقدرتها على خلق لحظات نادرة من الدهشة، وهذا ربما يضفي جو شبيه بالرواية لكنه ليس برواية، وهذا ما يميز سرد رباب هلال. إذ أن الطريق والبيت والحارة والحاجز هي البيئة التي تتحرك حولها الشخصيات. في كل قصة، هناك مشهد مميز في هذه الأمكنة، فنقرأ القصص وأنها متتالية رغم اختلافها عن بعضها، كأننا في رواية، سردها فسيفسائي. كان الكاتبة تقترح هنا أن تكون القصة متحررة من الأحداث المتتابعة وأن تكون بمثابة نص خارج عن التصنيف، يطمح أن يكون فقط نصاً لينقل مشاعر مختبئة لا تستطيع كاميرات الحرب ولا الأفلام السينمائية أن تنقلها. لهذا السبب، تجعلنا نشعر أننا نريد المزيد من القصة التي لا تباغتنا إنما تجعلنا نريد لهذه الشخصيات أن تحلم أو ربما تخرج من حيزها ولو قليلاً.

لكن يبدو أن الحرب لا تأخذ الأحلام على محمل الجد، مثل وفا التي كانت تحلم بأن تجول الشوارع تحت المطر الذي ينهمر على رأسها الحاسر حتى اكتشفت، مع فوران التظاهرات، هشاشة أمنياتها. الأمنيات والأحلام تصغر في هذه الظروف وهذا يبدو واضحاً وجلياً في لغة المجموعة.

لذلك أيضاً، تأتي النهايات أحياناً عادية وأحياناً مفاجئة، تماماً كما يحدث في الحياة، وهذا ما تدركه الكاتبة جيداً. واللافت أنها تقول في قصة «غاردينيا بين الأصابع» إنّ «لعبة التشابه ولع قديم بي، لا أعرف تفسيراً له» كأن هذه هي لعبتها أيضاً في هذه المجموعة التي تطمح أن تجعل شخصياتها ومشاهدها وأحداثها تتشابه مع الواقع كثيراً بلغة رقيقة وحساسة. القارئ للمجموعة سيخرج بانطباع آخر عن زمن الحرب حيث الدمار الداخلي أكثر ألماً وعمقاً، وهذه مهمة السرد الجميل بامتياز.

**تتنوع الغرائبية حيناً وتختفي أحياناً لتأمل واقعاً استثنائياً تسوده الحرب**



سيرة

# زهير ماجد يقلّب أوراق الذاكرة

**عبد الرحمن جاسم**

قليلةٌ هي الكتب العربية التي تؤرّخ لسيرةٍ طويلة من دون أن تدخل في أبواب وأساليب «السير» المعتادة. من هذا النوع «النادر» نسبياً، في العالم العربي، يأتي «بلا سقف: شهادة شاهد» (المؤسسة العربية للدراسات والنشر) للكاتب والصحافي اللبناني زهير ماجد. الكتاب أقرب إلى مجموعة من المقالات منه إلى فصول تروي أحداثاً تاريخية، بعين المشاهد/ الممارس المدرك لطبيعة ما هو أمامه من أحداث، المنخرط بها حتى النخاع، المتأثر بتفاصيلها، التي تترك آثارها عليه مهما حاول.

بعد المقدمتين والتوطئة، يضمّ الكتاب 28 مقالاً لا يمكن تصنيفها على أساس الفصول، بل على أساس الفكرة/ الحدث. إنها قصصٌ/ تاريخات مر بها «بطل الرواية/ الراوي». وكما في مدرسة الكتابة الإبداعية، يستخدم الكاتب تقنية Tell Tale: إنه الراوي، صاحب الفكرة، والتجربة، الذي يريد إيصال الصورة، كما شاهدها وعايَنها بمشاعره، من دون تدخل من راوٍ محايد. ففي مبكيات المقدّمة، يقول: «الجيش الإسرائيلي في شارع الحمرا ببيروت صيف عام 1982، نبأ يخترق التصديق بعدما اخترق جدار الصوت إعلامياً، يا لها من مفارقة، ويا له من يوم ذل ومن إحساس عميق بالإهانة». هنا تدخل التجربة المعاشة في الحكاية؛ حيث يروي حكاية المواطنين المصطفّين في شارع الحمرا، تحت حراب العدو الصهيوني في صفوفٍ تفتيشية؛ وقد صودف وجود الرسام والنحات الفلسطيني مصطفى الحلاج: «عاجل أحدهم الإسرائيلي الذي يحدق في أوراق يحملها، مشيراً إلى الحلاج بأنه باكستاني. سأل الضابط الصهيوني الحلاج بإنكليزية مكسرة: هل حقاً أنت باكستاني؟ تطلع الحلاج حواليه، فرأى رؤوساً تومئ له بالإيجاب، فما كان منه إلا أن لفظ كلمة «يس» بعبوس شديد». هذه التفاصيل الصغيرة التي تفصل بين الحياة والموت، لم يكن ليعرفها إلا من عاشها وعايشها. يمتاز الكتاب عبر كل «مقالاته» بحكاياه الكثيرة، فضلاً عن تنقّله السلس بين حكايا قد لا تربط بينها إلا ذاكرة الكاتب الموسوعية والانتقائية في بعض الأحيان، كأن يحكي مثلاً حكاية جمعت الشاعر إلياس أبو شبكة والسفير الأميركي ليحكي في المقطع نفسه عن الأفلام التي كانت تُعرض في دور السينما في تلك الحقبة من الزمن، وصولاً إلى فيلم «الفدائي الثائر» (للراحل غسان مطر) الذي كان معروضاً وقتها. ينقل شعراً قراه لبلدز المسؤولاً عن قسم ثقافي عمل فيه الكاتب في بيروت: «العدل أساس الملك.. صه.. الملك أساس العدل. إن تملك سكيناً تملك حقك في قتلي». ينتقل حتى إلى بغداد ليتحدّث عن «جبرا ابراهيم جبرا في منزله في شارع المنصور ببغداد، الذي يشبه المتحف الصغير».

لا يترك الكاتب فرصةً إلا ويُخرج أفكاره إلى العلن، هو هذه الأفكار قبل أي شيء: «معرفة مبكرة لفلسطين من طفل غير فلسطيني كان عليه أن يكبر ليكون فلسطينياً باختياره وليس بهويته». يشرح وجهة نظره في كيان الاحتلال الصهيوني قائلاً: «التجربة مع إسرائيل؛ هذه الدودة الزائدة الملتهبة دائماً، والتي يقتضي قطعها من الجسم العربي كي يستقيم وينتهي التهابه». يقارب حتى سلوك الأنظمة العربية في علاقتها المتلبسة بالصهاينة: «سقط العرب في أول تجربة مع هذا الكيان، وسقطوا دائماً أمامه وهو يفهمهم ويخطط صراعه معهم». هو يعطي حتى وجهات نظر «خاصة» بأشخاص عرفهم الجميع: «لا شك أن ياسر عرفات غير المعروف يومها (بقصد في خمسينيات القرن الماضي) كان مزهواً مما حصل للعرب من هزيمة مرة.. سوف يثبت لاحقاً أن الطريق إلى فلسطين لا يتحقق إلا بالكفاح المسلح والحرب الشعبية ويؤكد ذلك في معركة الكرامة بعد أقل من سنة على حرب يونيو». تفاصيل لا تشبه أي شيءٍ يعرفه أي متابعٍ آخر: «سحرتني الأنشودة الفلسطينية الجديدة التي كانت تُبثها حركة «فتح» من إذاعتها في القاهرة منذ عام 1968. (وكان) ياسر عرفات يشرف بشكل شخصي على كل شاردة وواردة في الإذاعة وخصوصاً في مجال الأغنية، فكان يقرأ كلماتها قبل أن تلحن ويضع ملاحظاته عليها أو يصحح فيها أو يدخل عليها كلمات مقصودة لموقف ما». الأمر نفسه يأتي حين يتحدث عن الأحزاب، فيقول: «فهمتُ الأحزاب جيداً لأني لم أكن بعيداً عنها»، شارحاً كيفية تشوّه الأحزاب، لغاية وصولها إلى مرحلة الفناء، مستعيناً بمشاهدات وتجارب خاضها وقاربها بشكل شخصي. يشير غير مرة إلى رأيه بالقادة العرب الحاليين والراحلين، فيتحدّث عن الراحل حافظ الأسد بوسمه «قائداً كبيراً»، وصدّام حسين «القائد الموهوب بالزعامة». في الوقت عينه لا ينسى أن يغوص في الشوارع العربية، فيتحدّث عن لبنان وطنه الأم، ويعرّي شيئاً منه قائلاً: «هنالك دائماً ما يزعجك في لبنانيتك، هل هي خلية تأسيسه، أم هي أخطاء غير منظورة ارتكبت أثناء قيام لبنان الكبير (1920) أم هو استقلاله الوهم». ويتحدّث بمباشرة أكبر: «مبادئ الإجرام اللبناني رأيتها بأم عيني وأنا شاب صغير في مرحلة الفتوة، ففي منطقة المعرض، وفي أوائل الستينات من القرن العشرين، رأيت فتاة تركض بسرعة وتصرخ بصوت مشوب بالهلع، ويركض وراءها شاب، إلى أن أمسك بها قرب شارع المكتبات، وعلى مرأى من الناس وتأملاتهم المذعورة، قام بإمساكها من شعرها ثم ذبحها وقطع رأسها ووضعه في كيس كان يحمله وسط خصره».

في الإطار عينه، يعطي رأيه في كل ما حوله، وخصوصاً «حرفته» ومهنته الأم: «كانت الصحافة مدخلي كما قلت إلى الحياة الاجتماعية اللبنانية». «لا أحمل شهادة في تخصص الصحافة، مما سمح لي أن أتجاوزها، حتى ولو كنت أحملها لما ابتعدت إطلاقاً عن المشوار ذاته الذي قطعته مع العمل التلفزيوني»، «الصحافة أنواع... الجالسون وراء المكاتب يتابعون وكالات الأنباء وما يرسله المراسلون كتبة.. أما أولئك الموجودون في مراكز الأحداث وفي المتابعات الدائمة والمراسلون، فهم الأولى أن يطلق عليهم صحافيون. ومع ذلك يسجل لمن عمل في الصحافة أنه نصف مؤرخ، إضافة إلى نصف جغرافي، وإلى نصف اقتصادي». هو لا يتناول الصحافة فحسب، بل يغوص أكثر في طبقة «الانتلجنسيا» العربية، شارحاً: «لا يشكل المثقفون العرب النخبة الاجتماعية إلا ما ندر منهم». يعطي الشاهر العراقي عبدالوهاب البياتي كمثال، مشيراً إلى أنه: «كان أستاذاً في النميمة ولم يمكن له صديق أو رفيق درب إلا ونم عليه أثناء غيابه.. وكان في الوقت نفسه هجومياً في كل الحوارات التي أجريت معه». الأمر نفسه ينسحب على نماذج يشير إلى أحدها (بدون ذكر اسمه) «هنالك شاعر عربي معروف وبقال كبير، صرح لأحد أصدقائه، أنه طالما يطلقون عليه الشاعر الكبير فعليهم أن يقدموا الطاعة له». باختصار هو كتابٌ لافت، يظهر عالماً لا يعرفه أحدٌ بخلاف من عايشوه بشكل يومي. هو جهدُ حياةٍ متنوعة خصبةٍ لكاتب رأى وشاهد وسجّل، وأصبح هو «السقف في حياته»، ببساطة، وبشكلٍ مباشر.

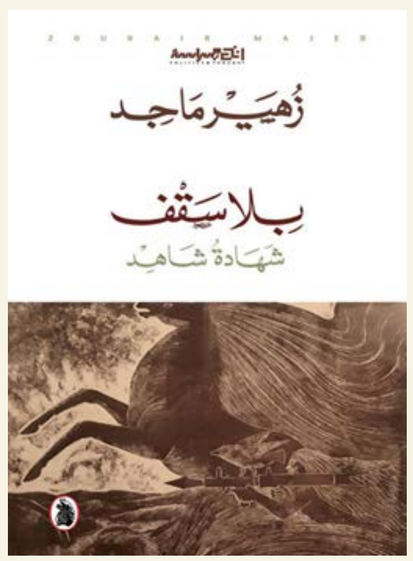


**يستذكر وصول القوات الإسرائيلية إلى شارع الحمرا صيف 1982**

## لمحات

**سمر الشامسي وعلي دياجة**

يعرض «تاريخ الفن والعمارة» (شركة المطبوعات للتوزيع والنشر) بالتفاصيل المحطّات الأساسية لتطوّر الفنون والمباني والصروح والأثاث عبر التاريخ. جاء الكتاب نتيجة تعاون بين كلّ من الأكاديمية سمر الشامسي، وعلي دياجة. ينطلق المؤلفان من عصور الفراعنة والإغريق حتى العصور الحديثة.

يستعرض الكتاب بشكل عام أهمّ الأسماء الفنيّة الكبيرة التي تركت بصمات في تاريخ الفن، كما يعرّج على النماذج الفنية والمعمارية الأبرز، ويقارن بين الحضارات والشعوب والعصور.

**مجلّة**

في ظلّ الظروف الصعبة التي يمرّ بها عالم النشر العربي نتيجة وباء كورونا، صدر العدد التاسع من مجلّة «طشّ فشّ» لسلسلة الكاريكاتور والكوميكس العربية. تتنوّع موادّ العدد الجديد، بين القصص المصوّرة لفنانين من فلسطين وسوريا والمغرب وليبيا والأردن منهم أحمد عكاشة ورنا طويل ولطفي زايد وآخرون من الذين يتطرّقون إلى بعض الأجواء العربيّة الراهنة. هناك أيضاً قسم لفن الكاريكاتور، منها مشاركات سياسيّة. وفي قسم «كرتون كلاسيكي» تستعيد المجلّة سيرة ورسومات أحد وجوه المدرسة الحديثة في الكاريكاتور المصري عبد السميع عبد الله (1917 – 1986).

**شريك داغر**

يتناول شريل داغل في مؤلّفه «الفن الإسلامي بين اللغة والصورة» (2018) شقّي اللغة العربية والصورة في الفن الإسلامي. ستُصدر دار «خطوط وظلال» نسخة جديدة من الكتاب القيّم الذي يرصد فيه داغر علاقة الأنماط الكتابية المختلفة المقامة والقصيدة والأدب، وتفاعلها مع الإنتاجات الفنية البصريّة الإسلاميّة المختلفة منها المنمنمات وأعمال خيال الظل. وفي سياق بحثه، هناك اكتشافات واجتهادات يضعها داغر في مؤلّفه منها التأثيرات الصينيّة على الثقافة العربيّة في العصر العباسي، مثل استخدام الورق الصيني واللجوء إلى السبل والأساليب الفنيّة الصينية.

**عبد الحسين شعبان**

يحاول «دين العقل وفقه الواقع: مناظرات مع الفقيه السيّد أحمد الحسني البغدادي» أن يجيب عن سؤال كيفية قراءة النصوص الدينية. في كتابه الصادر عن «مركز دراسات الوحدة العربيّة»، يوغل الأكاديمي عبد الحسين شعبان في مناظرات الفقيه الإسلامي العراقي أحمد الحسني البغدادي، الذي تناول معظم القضايا الخلافيّة الماضويّة والراهنة في هذا السياق، التي لا يزال لها وقعها الذهني في الحاضر «التائه». هكذا يركّز الكتاب على الحلقة المركزيّة في مناظراته، والمتمحورة حول السؤال عمّا إذا كان علينا أن نكتفي بالتفسيرات الماضية لترسيم هويّة الحاضر.

**ناهد سري أوريك**

تعود «أيام السلطان عبد الحميد الأخيرة» (الدار الأهلية للنشر والتوزيع) للكاتب التركي ناهد سري أوريك (ترجمة: أحمد زكريا وملاك دينيز أوزدمير)، إلى حقبة أساسية من التاريخ العثماني المتأخّر. في روايته، يوغل الكاتب والمترجم التركي ناهد سري أوريك عبر السرد في الصراعات السياسية في سنوات عبد الحميد الأخيرة، والتي جرت بين الباشوات ورجال جمعية الاتحاد والترقي. تأتي أهميّة الرواية من كونها وثيقة حيادية مرحلة ضبابية من التاريخ التركي، تغيب فيها الحقائق بين أنصار السلطان عبد الحميد وأعدائه.

**غيوم موسو**

بعدما أصدرت «هاشيت أنطوان/ نوفل» ترجمتين لروايتي الفرنسي غيوم موسو «الصبيّة والليل»، و«حياة الكاتب السرية»، ها هي تعرّب روايته الأحدث «الحياة رواية» (2020). الكاتب الفرنسي الغزير، يعتمد أسلوباً تجريبياً يمزج فيه بين الخيال والواقع والإثارة البوليسيّة في روايته الجديدة. يضع أمام القارئ حياتي روائيين مختلفين هما الروائية الأميركيّة فلورا كنواي، ذات الشخصيّة المتحفظة، والتي تفقد ابنتها في شقتهما في بروكلين، بالإضافة إلى شخصيّة الروائي رومان أوزورسكي الذي يعيش في فرنسا.

أوراق

# حول مصطلح «الناس» في القرآن

زكريا محمد *

لا ترد كلمة «الناس» في القرآن بمعنى البشر بشكل دائم. بل ترد في كثير من الأحيان كمصطلح محدد يعني: «مشركي مكة». وخذ هذا المثال من سورة البقرة الذي يتحدث عن الأزمة التي خلقها تحويل قبلة المسلمين من القدس إلى مكة:

«سيقول السفهاء من الناس ما ولّاهم عن قبلتهم التي كانوا عليها قل لله المشرق والمغرب يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم. وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا. وما جعلنا القبلة التي كنت عليها إلا لنعلم من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه وإن كانت لكبيرة إلا على الذين هدى الله وما كان الله ليضيع إيمانكم إن الله بالناس لرءوف رحيم» (البقرة: 142-143).

وكما نرى، فقد وردت كلمة «الناس» ثلاث مرات في الآيتين أعلاه. هناك خلاف بين المفسرين على من هم «السفهاء من الناس» وعلى من هم الناس في جملة «لتكونوا شهداء على الناس». من ناحيتي، أفترض أن «السفهاء من الناس» هم تلك المجموعة من مشركي مكة التي أرادت أن تستغل تغيير القبلة لإثارة الاضطراب في صفوف المسلمين، وإثبات بطلان الإسلام. أما «الناس» الثانية، فتشير إلى مشركي مكة عموماً. أما الناس في جملة «إن الله بالناس لرؤوف رحيم» فمن الواضح أنها تعني البشر عموماً.

و«الناس» المكيون، أي مشركو مكة، كانوا منقسمين إلى طائفتين مركزيتين: حمس وحلة، إضافة إلى طائفة وسطى بينهم. وحين تقول الآية القرآنية: «وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس»، فهي تقصد أن تخبر جماعة المسلمين أن الإسلام وضعهم على مسافة واحدة بين الطائفتين المركزيتين، الحمس والحلة، لا يميلون إلى هذه ولا إلى تلك: «لتكونوا شهداء على الناس».

والتركيز على الحياد هنا كان أمراً مهماً في تلك اللحظة. ذلك أن الرسول خرج من طائفة الحلة، لا من طائفة الحمس كما تعتقد الأغلبية الساحقة من الباحثين. كما أنّ عدداً كبيراً من أصحابه خرجوا من طائفة الحلة أيضاً. ومن بين الخلفاء الأربعة كان ثلاثة من هذه الطائفة: أبو بكر، عثمان، علي. عمر بن الخطاب فقط كان من طائفة الحمس. عليه، فقد كان كل تصرف للرسول بعد فتح مكة يمكن أن يحسب على أنه انحياز لطائفة الحلة. من هنا أكدت الآية بوضوح على أن المسلمين «أمة وسطا»، غير منحازة لأي طرف.

هذا هو ما عنته الآية في الأصل. لكن جملة «أمة وسطا» خرجت مع الزمن عن هذا المعنى الأصلي لتأخذ معنى التوسط عموماً، وخاصة التوسط بين المسيحية واليهودية: «هذه الأمة لم تغل غلو النصارى في أنبيائهم، ولا قصروا تقصير اليهود في أنبيائهم» (القرطبي، تفسير القرطبي). لذا فهمت جملة «شهداء على الناس» بهذا المعنى عموماً: «عن مجاهد: «لتكونوا شهداء على الناس»، تكونوا شهداء لمحمد عليه السلام على الأمم، اليهود والنصارى والمجوس» (تفسير الطبري). وقد صار هذا المعنى المنزاح قطعةً مركزية في العقيدة الإسلامية. صارت الوسطية مفهوماً عاماً يحدد موقع الإسلام تجاه الأديان، وتجاه التقاطب في كل شيء، بعد أن كان يخص وضعاً محلياً في مكة.

وخذ أيضاً حديث سورة آل عمران عن الناس: «الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم» (آل عمران: 137). ومن الواضح أن «الناس» الثانية على الأقل تشير إلى مشركي مكة. فهؤلاء هم الذين كانوا يحتشدون للهجوم على المسلمين في يثرب. أما الناس الأولى، فغير واضح إلى من تشير بدقة. ويبدو أنها استُخدمت هنا بمعنى: البعض، أو الآخرين. أي أن الجملة تخبرنا: أن بعضهم أخبر المسلمين أن مشركي مكة قد جمعوا لهم الجموع لحربهم. بالتالي، فمن الواضح أن «الناس» الأولى تختلف في المعنى عن الثانية.

بلاطة عثمانية من السيراميك تدعو الناس عبر الآية القرآنية إلى اداء مناسك الحج إلى مكّة. (رسوم مزجّجة على سيراميك – 24 ×14 سنتم – القرن السابع عشر/ تركيا)

فالثانية مصطلح يشير إلى مشركي مكة، في حين أن الأولى لا تبدو كذلك.

## تحويل القبلة

وهناك آيات أخرى سورة البقرة الأخرى تؤكد هذا الاستخلاص. فهي تخبرنا أن تغيير القبلة إلى مكة حدث لكي لا يكون للناس «حجة» على المسلمين: «ومن حيث خرجت فولّ وجهك شطر المسجد الحرام وإنه للحق من ربك وما الله بغافل عما تعملون. ومن حيث خرجت فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره لئلا يكون للناس عليكم حجة إلا الذين ظلموا فلا تخشوهم واخشوني» (البقرة: 149-150).

> صارت الوسطية مفهوماً عاماً يحدد موقع الإسلام تجاه الأديان

الناس هنا أهل مكة المشركون. فقد كانت حجتهم أنهم لا يستطيعون اتباع دين الرسول لأن قبلته ليست الكعبة معبدهم المقدس. وقد حوّل الرسول القبلة كي ينزع منهم هذه الحجة: «لئلا يكون للناس عليكم حجة». وهذا أمر حاسم لفهم الوضع الذي أدى إلى تغيير القبلة. وهو يشير إلى أن القبلة قد حُوّلت من أجل تأليف قلوب مشركين مكة، وجرّهم إلى الإسلام. أي أنها كانت في الواقع إجراء سياسياً يهدف إلى كسر تمنّع غالبية أهل مكة، وعلى الأخص طائفة الحمس، عن الدخول في الإسلام. فجزء لا بأس به من طليعة طائفة الحلة كان قد تحول إلى الدين الجديد. أما الكتلة المركزية للحمس، فقد تمنّعت وتأبّت. والكعبة كانت في الأصل معبداً للحمس في ما يبدو. لذا دعيت الكعبة باسم «الحمساء». لكنها صارت معبداً مشتركاً للحمس والحلة معاً قبل الإسلام بوقت ليس بالبعيد جداً، لكنه ليس بالمحدد تماماً. وقد حصل هذا في زمن قصي. لذا سمي قصي بـ «مجمّع» و بـ «قريش»- والتقريش والتجميع بمعنى واحد- لأنه جمع قريشاً وقرّشها حول المعبد المكي. قال حذافة بن عامر العدوي:

أبوكم قصي كان يدعى مجمعا
به جمع الله القبائل من فِهْر

في عهد قصي إذن جرى تحويل الكعبة الحمسية إلى كعبة للحمس والحلة، أي أنه جرى عملياً جمع رحلة الصيف (رحلة الحمس وإلههم) ورحلة الشتاء (رحلة الحلة وإلههم) في رحلة واحدة في معبد واحد هو المعبد المكي. وهذا ما تشير إليه صورة قريش في القرآن: «لإيلاف قريش. إيلافهم رحلة الشتاء والصيف. فليعبدوا رب هذا البيت. الذي أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف». قبل ذلك كان الكعبة حمسية، ولم تكن معبداً للحلة. أي أنها كانت مثل معبد اللات في الطائف تخصّ الحمس وحدهم. أما معبد مناة في قديد قرب يثرب، فقد كان معبداً للحلة.

على كل حال، فما أقوله بخصوص «الناس» ليس اختراعاً مني، فقد قيل من قبل: «عرف في اصطلاح القرآن النازل بمكة أن لفظ «الناس» يراد به المشركون، كما روي ذلك عن ابن عباس» (محمد الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير).

أما في سورة الناس، وهي من المعوذات، فتبدو كلمة «الناس» تعبيراً غامضاً يشمل في ما يبدو الإنس والجن معاً: «قل أعوذ برب الناس. ملك الناس. إله الناس. من شر الوسواس الخناس. الذي يوسوس في صدور الناس. من الجنّة والناس» (سورة الناس). وكما نرى، فالوسواس يوسوس في صدور الناس، الذين يتكونون من الإنس والجن معاً. بذا فالناس هنا مصطلح يشمل بشراً من نوعين مختلفين، ظاهر وخفي. عليه، فمن الواضح أن «الناس» هنا مستعملة في سياق آخر مختلف جداً عن السياق الذي استخدمت فيه في سورة البقرة، حيث الناس هم مشركو مكة.

أما كلمة «الناس» في سورة الحج، فأتت بمعنى العبّاد والمومنين: «وَأَذِّن فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ» (الحج 27).

وأما «الناس» في سورة آل عمران فليس هناك تحديد لمعناها: «إن أول بيت وضع للناس للذي ببكة» (آل عمران 94)، فمن المحتمل أنها تعني البشر عموماً. لكن هذا غير مؤكد. فارتباط الكلمة بالاسم «بكة» الغامض والمختلف على معناه يجعل من (الناس) كلمة مبهمة المعنى في اعتقادي.

* شاعر فلسطيني